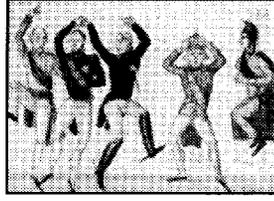


مظاهر وسمات العصر الذي وُلد فيه القرن العشرون

** لما كان الزمن حلقات متصلة متتابعة،
والتاريخ وقائع متشابكة متماوجة ...
فإن ميلاد القرن العشرين هو امتداد لما
سبقه، أو تطوير لما كان قبله، أو
إضافة إلى ما ورثه عن سلفه ...
وتلك نظرة من قريب على جوانب من
أبرز سمات العصر الذي أفضى إلى مولده .



* الرسام دولاكروا : الحرية تقود الشعوب .

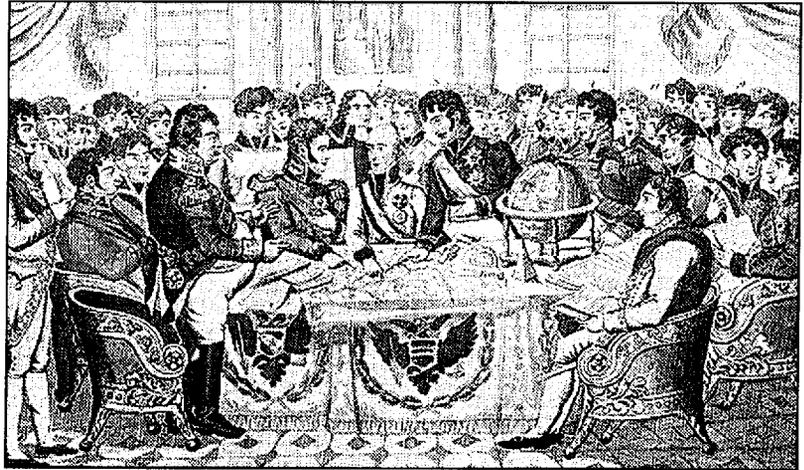


* الملوك يرقصون
فرحاً باتفاقية السلام

الإمبراطوريات الكبرى

نقصد بها التي كان لها تأثير واضح على سياسات الأمم وحياة الشعوب، وعلى التغييرات والتحويلات الكبرى في مسار الوقائع والأحداث قبيل شروق شمس القرن العشرين .

كانت الاتفاقات التي صاغها ملوك وأباطرة أوروبا في مؤتمر فيينا عام ١٨١٥، وبضمان سيادة أربع قوى كبرى أوروبية، هي: النمسا / بريطانيا / بروسيا / روسيا، (ثم ألحقت بها فرنسا) تهدف إلى إقرار السلام الدائم، وإلى عدم اعتداء إحدى هذه الدول على غيرها، أو على ما نالت من أراضي بعد تقسيم غنائم الحروب. وساد الظن بأن هذا التوازن بين القوى العظمى سوف يحقق ويصون تلك الأهداف زمنناً طويلاً .



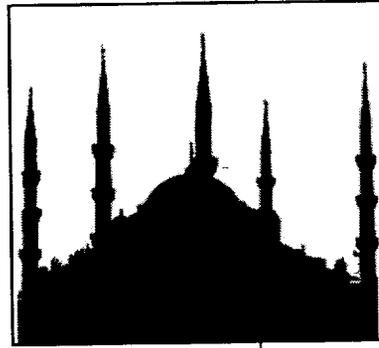
* أباطرة وملوك أوروبا في مؤتمر فيينا للسلام يقتسمون العالم .

لكن سرعان ما اندلعت الانتفاضات الثورية التحررية داخل تلك الدول، وأحرزت نجاحاً في فرنسا، وبلجيكا، وسويسرا، دون تدخل من جانب دول الاتفاقية .. إذ لم يكن من مصلحتها ذلك .. إلا أنها جميعاً اتجهت نحو الإمبراطورية الشرقية المتداعية «العثمانية» وكلُّ يطمع في استلاب أقصى ما يستطيع منها (رغم أنها كانت لا تزال تحتفظ ببعض قوتها وهيبتها)، وأخذوا يثيرون القلاقل والفتن داخل ولاياتها الأوروبية .

شهد القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين النزاعات الدائمة - التي



* جنود
أتراك في
البلقان.



* مسجد
سليمان
يشرف على
العاصمة
إستانبول.

تحولت إلى صراعات دامية - بين الدولة العثمانية من جانب، وبين روسيا أو النمسا - المجر من جانب آخر، بسبب مناطق أو ولايات خاضعة لإستانبول، نمت فيها روح الوطنية، ورغبة الكفاح من أجل الاستقلال، ووجدت تعظيماً ودفعاً من تلك الإمبراطوريتين، ومن دول أخرى أوروبية .. إلا أن بريطانيا وفرنسا كانتا بالمرصاد للطامعين في مكاسب من الدولة العثمانية، فأضمرت معاً اقتسام الغنيمة وحدهما . لذلك .. وقفنا بصلافة إلى جانب الخليفة العثماني، ودخلنا معه حرب القرم التي شنها القيصر الروسي نيقولا الأول، الطامع في انتزاع أملاك من الدولة العثمانية في البلقان، لكنه مات أثناء الحرب، وعقد خلفه ألكسندر الأول معاهدة سلام، بعد هزيمة روسيا في القرم، تتضمن الاعتراف بوحدة أراضي «الإمبراطورية» العثمانية.

ولم يمنع ذلك من استقلال الصرب، ومونتيجرو، ورومانيا، وبلغاريا، ثم تساليا، واليونان، إلى أن بدأت الدولة العثمانية في الاحتضار بعد طول انحدار مع اشتعال نيران الحرب العالمية الأولى (١٩١٤) .

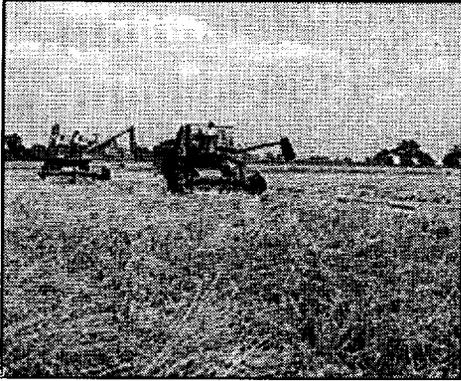


* عَصْد مؤتمر برلين توزيع
بعض ولايات الدولة
العثمانية

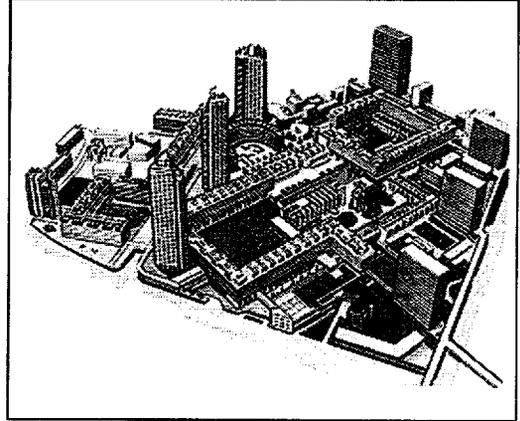
التصنيع وأثاره

مع نمو وتطور الانطلاقة الأوروبية الكبرى في التصنيع (التي عُرفت بالثورة الصناعية)، ونزوح أعداد كبيرة من سكان الريف إلى المدن، كان لابد من البحث عن أساليب وبدائل لتوفير الاحتياجات المناسبة من المحاصيل الزراعية ومواد الطعام .

وقد أسهمت العلوم والتكنولوجيا في توفير ذلك : بابتكارات جديدة، وآلات زراعية حديثة، واختيار أنواع جيدة من البذور والحبوب للزراعة، فزاد إنتاج المحاصيل وتنوع. وابتكرت كذلك وسائل جديدة لتخزين المحاصيل، وحفظ مواد الغذاء، وتحسين تربية الماشية والأغنام وسلالاتها، وإعادة توزيع الأراضي الزراعية، ونشأت التعاونيات .



* آلات زراعية جديدة
أوائل القرن ٢٠



مشروع تجديد حي باربيكان السكنى بلندن

واتسعت المدن، وأعيد تخطيطها، أو أقيمت بها أحياء جديدة بنظم وأشكال معمارية حديثة متطورة، متسعة الشوارع والطرق، فسيحة الحدائق العامة ومراكز الخدمات .

وصدرت قوانين بإصلاحات اجتماعية، بعد نضال متواصل شديد من فئات الشعب العاملة والمتوسطة والفقيرة ، شارك فيها أدباء، وفنانون، ومفكرون، وسياسيون، وكتاب، ودينيون . وحظى التعليم في الفترة بين ١٨٨٠ - ١٩١٤ بقسط كبير من الرعاية والإنفاق، وتحسنت الصحة العامة . وفي أواخر القرن ١٩ ، أوائل العشرين، كان السباق بين الدول على مد



* الاحتفال بلقاء خطى سكة حديد الباسفيك والاتحاد بأمريكا



* قطار روسي عبر سيبيريا

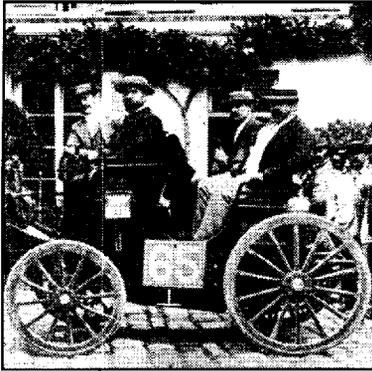


* كارل بنز

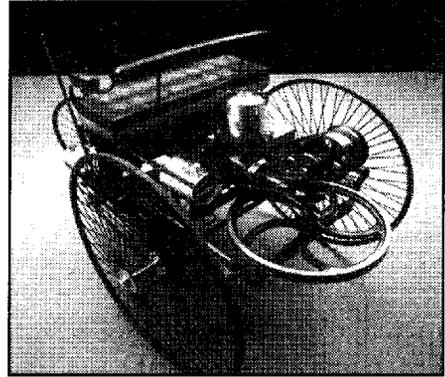
خطوط السكك الحديدية، كأفضل وأسرع وسيلة لربط المدن بعضها ببعض، وبالموانئ، والمناطق النائية، فتيسر الانتقال والسفر، وامتد التعمير إلى مناطق مُهملة مهجورة، فظهرت مدن وقرى على امتداد تلك الخطوط، وانتعشت أسواق التجارة محلياً وعالمياً، ونشطت الهجرة، فدخل الإنسان مرحلة أُطلق عليها : عصر السرعة .

ثم ظهرت السيارة .. أو « المركبة التي جعلت العالم يمشى على الهواء » ، كما قال « دنلوب » مبتكر الإطارات !.

كانت البداية العملية لاستخدام تكنولوجيا السيارات (أو وُضِع طريقة الاحتراق الداخلي على عجلات تجرى على الطرق) مع « كارل بنز » ، و« جوتليب ديملر » في ألمانيا . من قبلهما كان استخدام البخار في تحريك



* أول سيارة سباق بيجو عام ١٨٩٤



* سيارة طراز بنز عام ١٨٨٥ وهي أول سيارة حقيقية بمحرك غازي وعجلات



* أول سباق سيارات في أمريكا - نوفمبر ١٨٩٥



* إطارات جديدة إعلان عام ١٨٩٥

الآلات ودفعها إلى الأمام شيئاً معروفاً ، ومطبّقاً في عدة دول : في فرنسا، ثم في إنجلترا ، ثم في أمريكا، وغيرها .

ثم كانت الآلات الزراعية ذات المحركات البخارية الضخمة هي التي أوحى إلى « هنرى فورد » - الأمريكي - بفكرة المحركات والتصميمات الجديدة، فكان رائداً في هذا المجال، ومطوراً مبتكراً. وعندما وصلت إليه في عام ١٨٩٥ - في ميتشجان - سيارة ألمانية من صنع « بنز » انتقدها بشدة، لثقلها، وصعوبة تشغيلها. وفي الوقت نفسه كان الفرنسيون يسارعون بالتقاط المبادرة : « بانار بيجو » ، و « ديون بوتون » . ثم كان شق الطرق الفسيحة المريحة، وابتكار سباق السيارات لجذب أنظار وأموال الناس، وإغرائهم بشراء السيارات .

النقل والمواصلات

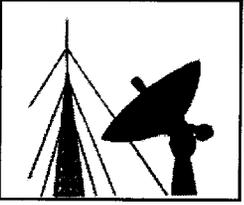
منذ أن خرج الإنسان القديم من الكهوف ، وسار على مهل عبر السهول والوديان، وهو يحلم بابتكار وتنويع وسائل تريحه من المشى على قدميه، وتنقله بأدواته وأحماله إلى أبعد مدى يريد .. فاستأنس الحيوان، واستخدمه في حمله ونقل أمتعته وبضائعه وآلاته .

ثم كان اختراعاً ضخماً - بعد آلاف السنين - أن يصنع العجلة، ويثبتها في صندوق لتكون « عربة » تحمله وما معه إلى مسافة أبعد، وبجهد أقل، وفي

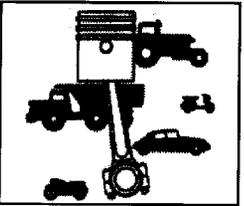
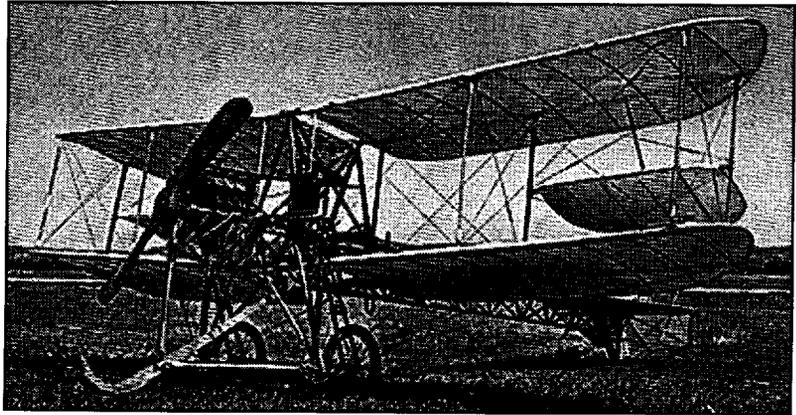
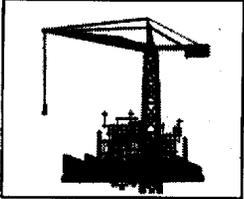
زمن - نسبياً - أسرع.. فلما شق الطرق ومهدّها، أضحى السير فوقها أيسر وأقرب. ثم جاب الأنهار والبحار طافياً فوق الماء، باختراع ألواح الأخشاب أو جذوع الأشجار، يضمها بعضها إلى بعض، ثم صنع القوارب والمراكب، فالسفن، وتنقل بين القارات، فأنشأ الموانئ، وشيّد المدن، فلما اتسع نشاطه، وتعاضمت تجارته، وتضخمت أمواله، تعلم كيف يعتدى ويستولى على المدن والموانئ والأراضى، ثم يضم إليه الدول والشعوب. ومن أجل ذلك.. طوّر في أسلحته وابتكر.. ثم نظر إلى السماء، وتأمّل الطير سابحات في الفضاء، فسأل نفسه : لماذا لا يطير؟ وصار حلماً يراوده منذ ألفى سنة.



وقبيل نهاية القرن التاسع عشر، قدّم العلم للمجتمع محرك الاحتراق الداخلى، الذى استُخدم فى السيارات والسفن، ووضع فى يد الإنسان « طاقة » أو قدرة تتيح له أن يحقق حلمه القديم : التحليق كالطير فى الجو. وعليه الآن أن يفكر فى ابتكار مركبة ملائمة للارتفاع فى الهواء، والتجول فيه، ثم العودة بسلام إلى الأرض. وبالفعل فكر جيداً فى هذا الأمر، وتدبر علماء وباحثون مبتكرون فى دول مختلفة من العالم، خاصة فى أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، وألمانيا.



ونجح أخوان أمريكيان : « ويلبور، وأورفيل رايت » فى صنع « آلة » ذهبها بها - سراً - إلى مكان منعزل فى ولاية كارولينا الشمالية فى يوم من شهر



ديسمبر ١٩٠٣، وصعدا بها الجو لمدة إحدى عشرة ثانية - فقط - ثم هبطا إلى الأرض، فكان ذلك نجاحاً حقق لأول مرة في التاريخ حلاً ظل كامناً في النفوس لألفى عام أو يزيد (باستثناء استخدام البالونات الضخمة التي ترتفع في الهواء بدفع الغاز الساخن داخلها، وكانت معروفة في القرن الثامن عشر) ، لكن الغريب حقاً، أن أحداً من الناس لم يشهد هذا الحدث التاريخي المدهش الذي حققه الأخوان رايت، حتى إن الكثيرين الذين سمعوا به بعد ذلك لم يصدقوه. والقلائل الذين صدّقوا، لم يدركوا يومها مدى الآثار التي ستجنيها عنه في المستقبل.. فلما نجح الشاب الفرنسي « بليريو » بعدهما بقليل (٢٥ يوليو ١٩٠٩) في عبور بحر المانش طائراً، آمن المنكر، وصدّق المكذب، وانتبه الغافل، واستعد العالم كله للتعامل مع الفضاء - سلماً وحرباً - والتكيف مع «أداة» جديدة مبهرة من أنفع وأخطر أدوات العصر الحديث ..



الأخوان الطيران:
« رايت »

فن العمارة

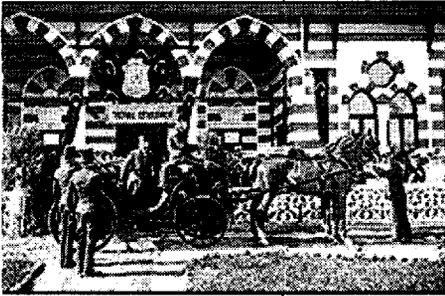
أقبل القرن العشرون في زحام كثيف من معالم النمو الصناعي والاقتصادي والسكاني والعمرائي . وبالتالي كانت نهضة معمارية زاحفة ، تُواكب متغيرات العصر وقدراته ومتطلباته .. فأقيمت في هذا القرن من المنشآت أكثر مما أقيم في أي قرن مضى .

وابتكرت أنماط معمارية حديثة ، وتدافعت النظريات البنائية الذكية المتطورة. كما استحدثت مواد جديدة في التشييد والبناء ، وبزغ نجم «المهندس» المتخصص ، من خلال المصمّم المعماري ، والإنشائي المنفّذ . ولم تغفل الطرز المعمارية الحديثة عن أن تحافظ على التراث المعماري

القديم : بيزنطى، أو إغريقي ، أو روماني ، أو إسلامي ، أو هندي ، أو قوطي ،
أو طراز عصر النهضة الأوربي والباروكي . وأدخَلت على هذه الطرُز
الكلاسيكية الرصينة ، أو المتناغمة الرشيقية ، بعض لمسات تواكب روح
العصر الجديد ومتغيراته . وكثيراً ما كان البناء معبراً عن « الذوق الشخصي »
لصاحبه من ناحية اختيار الطراز المرغوب .

وتداخلت في بعض الأحيان الطرُز ، وتزاوجت ، فأبدعت . وحرصت بعض
الأسر الثرية العريقة على قصور ومبانٍ تجارية لها (شركات ، مؤسسات ،
بنوك ، فنادق...) تتسم - مع امتزاج بروح العصر الجديد - بفخامة طرُز
عصر النهضة الإيطالية ، تماماً مثلما فعلت بعض الحكومات الغنية في بناء
المؤسسات الرسمية (مثل دور البرلمان ، والمكاتب العامة ، ودور الوزارات ،
وقصور الحكام ، والجامعات ، والمتاحف ، ودور الأوبرا ، والمسارح ...) ،
تلك التي تجمع بين الفخامة ، والرصانة ، والمهابة ، والجمال ، أو بتعبير
أخلاقي : تمزج الجمال بالثقة .

التزم المعماريون المبدعون الكبار « مبدأ الأمانة » الذي عبّر عنه المعماري
الفرنسي « أوجين إمانويل فيوليه لو دوك » بقوله : « إن الطراز المعماري
المتسم بالثقة يرتكز على الاستخدام الأمين للمواد : فالحَجَر مثلاً يجب أن
يبدو حجراً ، والحديد كالحديد ، والخشب مثل الخشب » . وبناء على هذا



[الملك أوالخديوي في زيارة لمبنى حمامات
حلوان الجديد]



مبنى الجامعة المصرية القديمة في أوائل القرن العشرين

المبدأ، لا يجب أن تُكتسَى الأعمدة الحديدية بالحجارة، بل تُترك ظاهرة
ومندمجة في توافق مع التصميم.

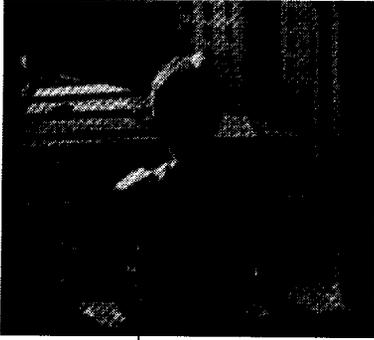


مبنى البرلمان البريطانى فى لندن وبرج ساعته الشهيرة.

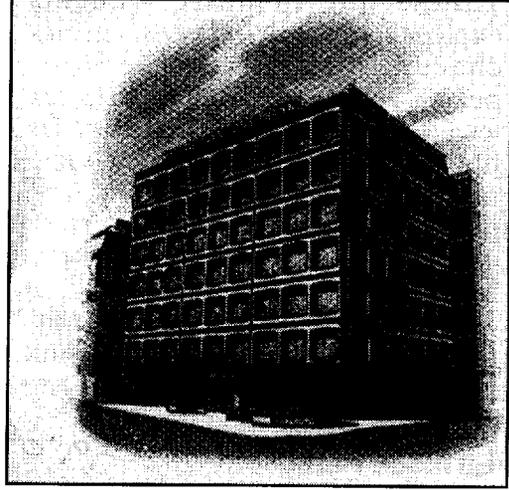
فى ذلك العصر السابق على بداية القرن العشرين، كانت تسود آراء كتاب
كبار، من أمثال الناقد الجمالى البريطانى «رُسكين» - ت ١٩٠٠ - الذى
نادى بأن الطراز المعمارى «الجيد» - ويقصد بالـجيد هنا: الجميل
والأخلاقى معاً - إنما يَصْدُر فقط عن معمارى «جيد»، يعكس فى عمله
مجتمعاً «جيداً». ثم أتاحت المثالية المدنية المألوفة، وهى ناتج ثقافة خاصة
وحضارة، أتاحت حرية فى التعبير، من خلال التخطيط والتصميم الأساسى
المتناسق الأجزاء، مع التغاضى عن إبراز الفخامة الزائدة، والأبهة المسرفة،
خاصة فى البيوت الصغيرة والذاتية، ومع الارتفاعات العالية.

لم يكتف عصر التصنيع بإثارة الاهتمام، والرغبة فى تحسين نوعية
المجتمع ومبانيه المعمارية، وإنما أدخل أيضاً مواد معمارية حديثة، وتطور
باستمرار: مثل السبيكة المعدنية، والحديد المطاوع، والصلب (الفولاذ)،
والزجاج المصفح، والطوب خفيف الوزن المقاوم للحريق ... فيسّرت هذه

المستحدثات إقامة مبان « هندسية » تصلح أن تبقى أثرية مع الزمن ، وكذلك مبان « معمارية » صارت من معالم التاريخ الحضارى . وطوَّع الحديد نفسه للبناء سابق التجهيز ، حيث تُجهز سبائكه مسبقاً ، ثم يتم ربطها بعضها إلى بعض فى الموقع .
وأدخَلت التغييرات الاجتماعية أيضاً التضيخيم والتوسيع ، والتمديد



* محطة قطار مركزية من أوائل القرن



* مبنى يجمع بين القديم والحديث مع الفخامة والانتساع والجمال



محطة السكة الحديد بالاسكندرية (محطة مصر)
عند افتتاحها (١٩٢٦) .

والإضافات ، والتخصص في أنماط البناء التقليدية أو الجديدة . ومع زيادة التعقيد والتشابك في الإدارات الحكومية المركزية والمحلية ، أصبحت المنشآت المعمارية ، وقاعات الاجتماعات الرئيسية مبان ضخمة فخمة ، رحيبة الاتساع ، تجمع بين الجمال والجلال .

ودخل عنصر جديد تماماً : السكك الحديدية ، حيث ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ثم زادت وتطورت في العشرين . وكان لزاماً أن تصبح محطات القطارات المركزية أو الرئيسية ، رمزاً ومعبراً عن العصر الصناعي ، وأثاره ، وروافده ، ومتغيراته ، وإيقاعاته ، أينما سار قطار وتوقف ، وحيثما علا صفيره ومن ركابه تخفّف .

المسرح والشعر

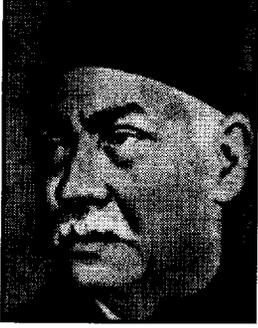
أقبل القرن العشرون ، والناس تردد وتتغنى في مصر والشرق بأشعار : البارودي، وأحمد شوقي ، وحافظ إبراهيم ، وحفنى ناصف ، وخليل مطران ، وعائشة التيمورية ، ومصطفى الرافعى ، وجميل صدقى الزهاوى ، ومحمد رضا الشيبى ، وناصرى اليازجى ، ونجيب الحداد ... وكثيرين غيرهم .. وبعض هؤلاء كتب شعراً للمسرح الشعرى العربى ، ومثّلت ، ونالت استحساناً .

وفي أوروبا ، كانت قصائد الشعراء الكبار تنتقل سريعاً من مكان إلى مكان، تشرّق وتغرّب مع المسافرين والركبان .. فمن شعراء الإنجليز : توماس هاردى، ووليام بتلريبتس (أيرلندى) . وفي فرنسا : بول فرلين ، وستيفان مالارميه ، وأرتور ريمبو . وفي إيطاليا : جاردوتشى ، وجابريل دانونزيو ...

وقد كانت النزعة الرومانسية هى الغالبة ، مع أشعار الملاحم والبطولات ، والتغنى بالوطنية والقومية ، وثناء الشعر المسرحى .



البارودى



حافظ إبراهيم

وقبيل نهاية القرن التاسع عشر، فتح المسرح العالمى أبوابه مرحباً بثلاثة كُتَّابٍ للدراما، صنعوا معاً - كلُّ بأسلوبه - التجديد الكبير المرتقب، الذى تعاطم شأنه على امتداد القرن العشرين: هزىك إبسن (من النرويج - توفى ١٩٠٦) الذى أثرى الدراما الاجتماعية بمسرحيات شعرية، ثم نثرية رفيعة المستوى، مثل: بيت الدُمية. ومن السويد: أوجيست ستريند برج (ت ١٩١٢) الذى بدأ بالدراما النفسية الجنسية المفزعة، وانتهى بالدراما الرمزية. وفى روسيا: تألقت أعمال أنطون تشيكوف المسرحية (ت ١٩٠٤) ذات الطابع الواقعى الاجتماعى الرشيق الأنيق.

وظلت مسرحيات شكسبير تحتل مكانتها المرموقة فى كل البلاد. أما مسرحيات أوسكار وايلد (توفى ١٩٠٠) الكوميدية، فقد تراجع الإقبال عليها، لأنها لم تعد تلائم العصر سريع التغير، سواء فى حيكتها، أم فى خصائصها، وطابعها المتقادم.. لكن وايلد، بذكائه البارِع، وإبداعه المتوقد على الدوام، سرعان ما تحول إلى الميلودراما والكوميديا الرومانسية، فأحرز نجاحاً وإقبالاً متزايداً.



شوقى



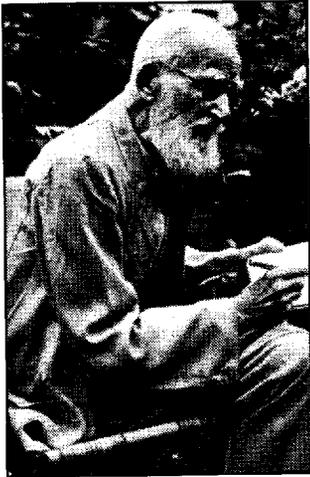
* مشهد من مسرحية تشيكوف « طائر النورس »
عند تمثيلها عام ١٨٩٨ .

وتألق نجم برنارد شو (١٨٥٦ - ١٩٥٠) . وهو أحد أبطال إبسن .. فاستخدم الأسلوب الفنى نفسه فى بناء مسرحيات اجتماعية أخلاقية، تجمع بين البراعة والطرافة، والرقعة فى الإنسانية، وتحمل المشاهد على التفكير الرصين العميق .

وفي باريس ، توافقت مسرحيات ألفريد جارى (ت ١٩٠٧) مع الاتجاه «التعبيرى» فى الرسم ، حيث تقدّم الحقيقة الواقعة كانعكاس عقلانى ، أو لما يدور فى الذهن .. فكان هذا اللون المسرحى هو المقابل العقلى لمسرح «العبث» ، أو « اللامعقول » ، أو « اللاعقلانى » .



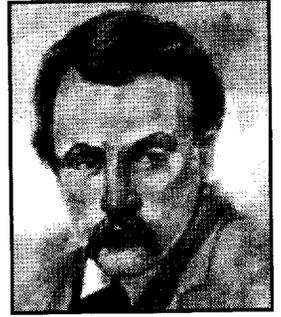
* مشهد من مسرحية تشيكوف « طائر النورس »
عند تمثيلها عام ١٨٩٨ .



* برناردشو



* نورا هلمر التى مثلت الشخصية
الرئيسية فى مسرحية بيت الدمية لإيسن

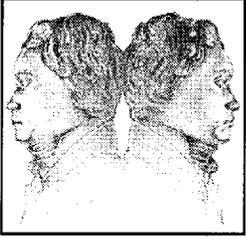


* خليل مطران



* أوسكار وايلد ،
أحد المجددين الكبار
للمسرح الانجليزى
فى أواخر القرن ١٩ .

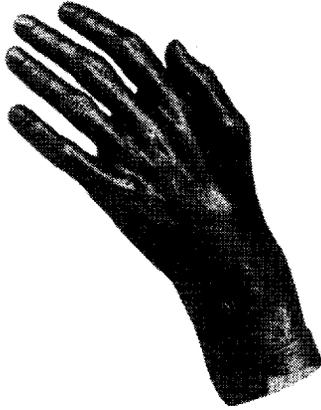
الموسيقى



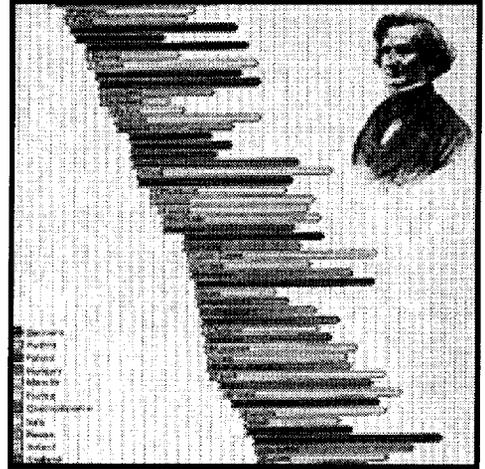
* بيتهوفن

يدين الموسيقيون العالميون لعبقري التأليف الموسيقى « لودفيج فان بيتهوفن » بما نالوه من مكانة اجتماعية مرموقة، ومستوى بين الناس رفيع كريم . كان المؤلف الموسيقى قَبْلَه - مهما أجاد واشتهر - مجرد جِرْفِي ، وغالباً ما كان يوضع في مرتبة صغار الموظفين أو العمال لدى أمير، أو ثرى ، أو راع لكنيسة . وكثيراً ما كان طعامه مع الخدم .. فلما أقبل بيتهوفن ، وتألق نجمه ، وانحنى الجميع لعبقريته وإبداعاته ؛ وضع نفسه في الموضع اللائق - والإنسان حيث يضع نفسه ! - وهكذا صار كل المبدعين من بعده .

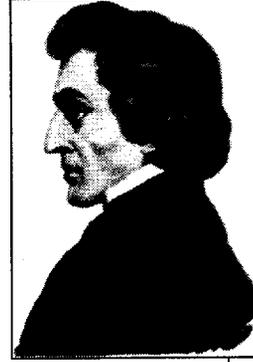
والجدول البياني التالي يوضح تطور الموسيقى الرومانسية التي بدأ ازدهارها المبدع ببيتهوفن ، وانتهت إلى رحمانينوف (الروسى) ، وفيه بيان السنين ، وجنسية كل مؤلف. أما الشخصية المرسومة إلى اليمين من أعلى



* يد شوبان اليسرى (من قالب) تخليداً لمهارتها المفرطة في العزف على البيانو



الشكل ، فهي للموسيقار هيكتور برليوز (الفرنسى - توفى ١٨٦٩) ، الذى



فردريك شوبان
(١٨١٠ - ١٨٤٩)

بلغ الذروة فى تأليف الموسيقى الكلاسيكية الرومانسية .

وقد تأثر الموسيقيون الكبار بالنزعة القومية وبالانتفاضات الوطنية التى شاعت فى القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، وظهر ذلك فى أعمالهم: فالمازوركا والبولونيز^(١) تدخلان فى نسيج التأليف الموسيقى عند فردريك شوبان (ت ١٨٤٩) وهو بالمنفى ، تعبيراً عن مشاعره الوطنية الجياشة نحو موطنه بولندا ، وحنينه إليه . وفى بوهميا (الجزء الغربى من جمهورية التشيك الآن) يناصر الموسيقار أنطونين دفورجاك (ت ١٩٠٤) ، والموسيقار بدرتش سميتا (ت ١٨٨٤) بمؤلفاتهما الثورة الوطنية فى بلدهما ، وكذلك فعل الموسيقى الكبير إدوارد جريج فى النرويج (ت ١٩٠٧) . ويفعل الشئ نفسه فى روسيا كل من : ألكسندر بورودين (ت ١٨٨٧) ، وريمسكى كورساكوف (ت ١٩٠٨) . أما بيتر تشايكوفسكى (ت ١٨٩٣) ، فقد سلك سبيلاً آخر . وبالمستوى الرفيع نفسه ... كان إدوارد ماكدويل (ت ١٩٠٨) فى الولايات المتحدة الأمريكية ، ورينشارد فاجنر (١٨٨٣) فى ألمانيا .

واستخدم فاجنر الأساطير الوطنية الألمانية فى التأليف الموسيقى الدرامى ، بدلاً من الأوبرا التقليدية ، التى كانت ثانوية بالنسبة لقدراته

(١) المازوركا : موسيقى شعبية بولندية ، تؤلف للرقصات الجماعية الدائرية ، ألحانها شجية .
والبولونيز : نوع من الموسيقى الوطنية البولندية الراقصة بطيئة الحركة (يستغرق زمنها $\frac{3}{4}$ فى قياس الموسيقيين) .



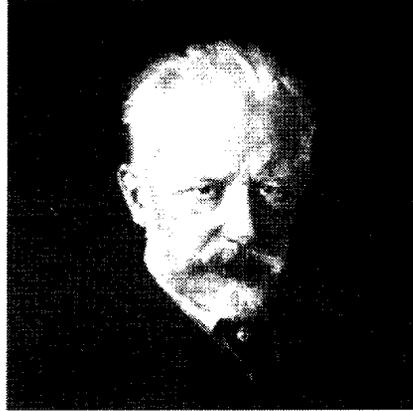
* فاجنر : عبقرى الدراما
الموسيقية الوطنية الألمانية



* برامز : صورة ظليلة وهو
يمشى نحو مطعمه المفضل

الفائقة في التنوع الهارموني المتألق المبهر ، وفي السيطرة على الأوركسترا ، واستثمار كل آلاتها بمهارة .

وفي إنجلترا كان ختام عصر الرومانسية الوطنية مع إدوارد إيجار (توفي ١٩٣٤) ، وأيضاً في فنلندا مع جان سييبليوس (ت ١٩٥٧) ، وكذلك في فرنسا مع سيزار فرانك (ت ١٨٩٠) ، الذي أنشأ وأدار جمعية وطنية ، وأيضاً مع سان صانس (ت ١٩٢١) . أما كلود ديبوسى (ت ١٩١٨) ، فهو الذى قاد تيار الموسيقى التأثيرية ، المواكبة لتيار المذهب الجديد في الرسم (التصوير) .



* تشايكوفسكى : عبّر بالحنان عن روح الوطنية الروسية التى ضمنها مؤلفاته وأسلوبه الفولكلورى فى الباليه متميز محبوب

الرسم (أى التصوير)

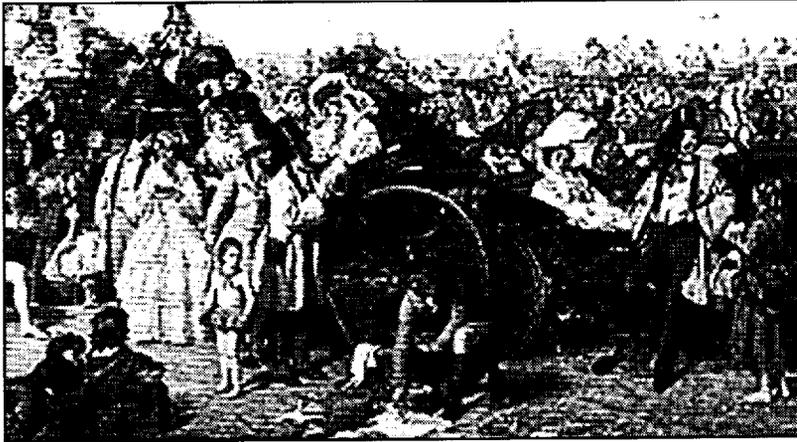
غَلَبت على مدارس التصوير (الرسم) فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وحتى أوائل القرن العشرين ، النزعة الواقعية - خاصة فى فرنسا - وازدهرت أعمالها المعبرة عن الحياة اليومية فى كل جوانبها ، ومن كل الفئات والمستويات الاجتماعية .

لقد أصبح الفن حرّاً طليقاً ، مصوراً للمجتمع كله ، وليس ترفاً يختص به



* « بونجور مسيو كوربيه ! » لوحة رسمها الفنان الواقعي الفرنسي كوربيه لنفسه وهو يتلقى التحية من صديق عابر بالطريق .

* « إضراب عن العمل » لوحة (١٨٩١) ، يصور فيها الفنان هيربرت فون هركومر قمة الواقعية ، حيث مشاعر الحزن والاستسلام واليأس تنعكس على أفراد الأسرة ، نتيجة لتوقف عائلها عن العمل . وفيها أيضًا التضامن الأسمى : انحناءة الزوجة ، وتطويق زوجها بيدها المسترخية ، وكذلك الابنة خلفها تسند رأسها الحزين بيديها - توفى هركومر ١٩١٤ .



* « يوم السباق » للفنان ويليام باول (ت ١٩٠٩) تصور مشهدًا من الحياة اليومية بانفعالات وتكوينات وألوان فائقة .

* « في المقهى » للفنان الفرنسي إدوار مانيه . موضوع شعبي واقعي طريف . اللوحة تحمل طابع الفنان المتميز بالحيوية ، وثناء الألوان . وقد مهد لظهور المدرسة التأثرية .

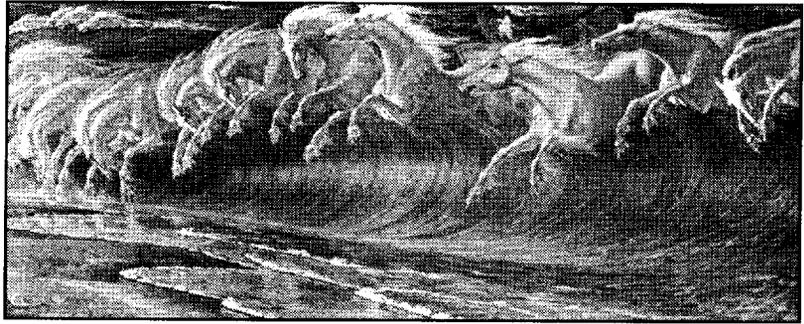


* « صحوة الضمير » لوفنان ويليام هنت من المدرسة الروفائليه ، تعبر عن صحوة ضمير فتاة تحافظ على براءتها وعفتها بإزاء إغراء فتى وسيم ، كما يبدو من تشابك يديها ، ووضاءة وجهها وردائها .

وينعم السادة والنبلاء وكبار الأثرياء . كان على رأس هذه المدرسة الواقعية : جوستاف كوربيه الفرنسي (ت ١٨٧٧) ، وكان ريفياً بوهيمياً ديموقراطياً ، يميل إلى الثورية .. فلما ظهرت آلة التصوير الفوتوغرافي ؛ خبت المدرسة الواقعية ، وأسلمت القيادة لمدرسة جديدة :التأثرية .

الفن الحديث

سرى تيار الموجة الجديدة - أو « الفن الحديث » - واكتسب جمهوراً كبيراً ، وعداء متزايداً من جانب التقليديين (الكلاسيكيين) أصحاب المدارس القديمة . وكان لابد للحياة من أن تتطور ، وتأخذ مسارها مع الزمن



* « موجة تنكسر » أو اندفاع الزمن . أو التيار الجديد . لوحة للفنان البريطاني والتركين (ت ١٩١٥) ، يصور الموجة كخيول جامحة سابحة (لاحظ الأقدام) منضبطة متناغمة الحركة والإيقاع كاللوح ، لكنها - رغم خضوعها لقائدها - لا تتماثل .. فكل نظرته واتجاهه وأداؤه المنطلق . اللوحة بارعة التكوين والتعبير عن الفكرة والحركة ، واستخدام الخط المنحني في انسجام مبهر وتوافق .



* « الوجه الأثري » للفنان النرويجي إدوارد مونش يعبر عن أسلوب
فنانى الموجة الجديدة : الوجه المسطح ، والخطوط المتحررة تعكس رؤية
الفنان الذاتية .

والمتسارع، مع المستجدات المتلاحقة. إنه قرن يودّع (١٩) ، وقرن مقبل
بإشراقات مبدعة، وتغييرات متدافقة فى كل شىء : فى الفكر والفن ، فى البناء
والأزياء ، فى الابتكارات والاختراعات ، فى الاكتشافات والتطبيقات، فى العمل
والتعامل، فى كل جوانب الحياة .. والفن صورة للمجتمع . ولوحة الفنان -
ولو كان فنان دعاية وإعلان - مرآة قابضة ، مسجلة .. بمعنى أنها تمسك
بمظاهر عصرها ، وتسجل طابعه ، وتحمل نفحات من روجه .

ملاحظة : القيمة الجمالية للوحات لا تستبين إلا بالألوان الحقيقية)

المدرسة التأثيرية



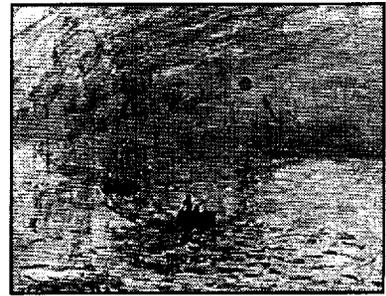
مدخل قرية (بيسارو)

إن تعبير « تأثيرى » ، أو « تأثيرية » فى الفن ، جاء فى الأصل من كلمة سخرية وازدراء ، كتبها الناقد الفرنسى « لوى لوروا » عام ١٨٧٤ متهماً على لوحة للرسم « كلود مونييه » ، تصور الغروب عند شاطئ النهر . واختار لها الفنان اسم : « تأثير Impression » .. فكتب لوروا ناقداً لها: « تأثير .. أو انطباع ، أنا متأكد من ذلك!، فهى إذ تخبرنى من عنوانها بأننى تأثرت بها ، فلا بد إذن أن يكون فيها شىء تأثيرى ، وأنا لا أدرى ! ».

بدأت هذه المدرسة - أو هذا التيار الفنى الجديد - بمجموعة من ثمانية مصورين (أى رسامين) ، كفريق متميز ، يتخذ أسلوباً خاصاً فى الرسم ، يختلف عن الأسلوب الواقعى ، أو الطبيعى ، أو الكلاسيكى التقليدى القديم. ويعتبر « كامى بيسارو » - توفى ١٩٠٣ - الأب الروحى لتلك الجماعة . وهو ابن رجل مصرفى ، وصديق طفولة للروائى الفرنسى « إميل زولا » . ومن هؤلاء التأثيريين (أو الانطباعيين) : إدجار دوجا (ت ١٩١٧) ، الذى تخصص فى رسم سباق الخيل ، والمسرح ، والباليه ، وكلود مونييه (ت ١٩٢٦) ، وأوجيست رنوار (ت ١٩١٩) ، الذى سبق اشتغاله بالزخرفة



* مضمار (ساحة) سباق ريفى - إدجار دوجا .



* تأثير - كلود مونييه



* صورة فوتوغرافية لسيزان
يرسم من الطبيعة



* مانيه يرسم لوحة .



* الرقص في ملهى طاحونة
الكلوى - رينوار

الخزفية ، وتنسيق الزينة (الديكور) ، وألفريد سيسلى (ت ١٨٨٣) ، الذى يُعتبر رائد هذه الجماعة أو المدرسة .

لقد كانوا مجموعة متألّفة مترابطة ، عزمّت على اتباع « مذهب » فنى جديد، فعملوا معاً ، وتدرّبوا على الإجابة معاً ، وأحياناً كانت مجموعة منهم ترسم منظراً واحداً يقفون أمامه جنباً إلى جنب ، وكلٌّ يرسم بأسلوبه وألوانه .. لكنه يحافظ على طابع تلك المدرسة فى ضربات الفرشاة على اللوحة ، وفى التحليل الضوئى ، وفى اختيار الموضوع البعيد تماماً عن الموضوعات التاريخية التقليدية ، أو الأسطورية . (ولم يدركوا حينذاك أن لوحاتهم هم ستصبح تاريخاً ، وفيها تسجيل لمظاهر حقبة تاريخية عاشوها وأبدعوا - على طريقتهم - فى تصويرها لمن بعدهم ؛ ليستشف منها ملامح الحياة اليومية آنذاك : فى الأزياء ، والمباني ، والمركبات ، والسفن ، والملاهى ...) .



*نساء في حديقة
(مونية)

كانوا شغوفين بالطبيعة الفسيحة الوضاءة المبهجة ، بالحدائق والحقول والأنهار والأشجار والزهور ، بالحياة البسيطة المرحية ، وتقلبات الأنوار في الليل والنهار ، ومن شروق إلى غروب ، وبالتحليل اللوني للظلال ، وانعكاساتها على نحو بارع دقيق . وبعضهم - مثل رنوار - مال كل الميل إلى رسم الأشخاص ، خاصة النساء كاسيات عاريات . وتفوق سيزان في صياغة الشكل أو الملامح ، من خلال ضربات لونية بدرجات مختلفة ، وأجاد تحليل العلاقة بين اللون والشكل . إنها لوحات « ثورية » تعطى انطباعاً أو تأثيراً مباشراً بمجرد النظر إليها ، أو التأمل .

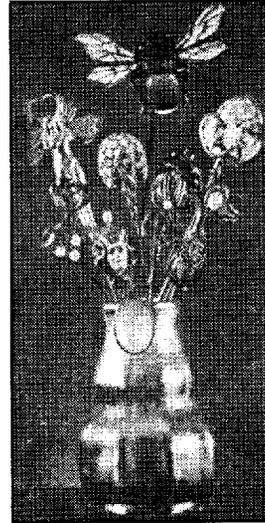
جماليات التنسيق

ونقصد به كل ما يسهم في الارتقاء بالذوق الرفيع ، ونشر لمسات الجمال في أرجاء المكان ، ولو بأبسط الأشياء والأدوات : في البيت ، والمكتب ، والمدرسة ، والمؤسسة ، والمتجر .. في الزخرفة والتزيين (الديكور) ، وفي الأثاث ، وفي المزهريات ، والإضاءة ، وفي السجاد ، وتوزيع اللوحات ، والتحف ، والأدوات .. إن الطبيعة التي أبدعها الخالق جميلة ، ويجب أن تنظر العين فيما حولها إلى كل شيء .. جميل .

في عام ١٨٩٥ - وكما سنرى بالتفصيل فيما بعد - أفتُتِح في باريس « بيت



* تمثال من البرونز اللامع أمام حائط داخل مغطى بورق مزخرف بالزهور بالأسلوب الجديد . يلاحظ التناسق بينهما (مع الألوان) في التعبير عن التحسّر والانطلاق والحركة الرشيقة وذلك بالتموجات والخطوط المنحنية والدائرية ، وتطابير الشعر والملابس ، والجسم الملتف ، وإيحاءات الأطراف . إنه الفن المتوهج .



* مستوى رفيع من الرشاقة والأناقة في مزهريات بأسلوب «موجة الفن الجديد» التي ظهرت في فرنسا أواخر القرن ١٩ وأوائل العشرين .

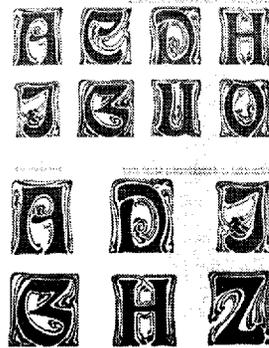
الفن الحديث « Maison de L'Art Nouveau » ، وفيه عُرضت ذروة ما وصل إليه إبداع فناني تلك المدرسة الجديدة في التنسيق والتجميل الداخلي ، من أبسط الأشياء (كالوسائد ، وأدوات المكتب) إلى الأثاث ، والسجاد ، وورق الحوائط، وتوزيع الفتحات ، والمساحات ، والإضاءة .. وكلها في تموجات وخطوط رشيقة ، بعيدة تماماً عن الصرامة والجمود ، تُدخل البهجة والنشوة إلى النفس والحس .

في نهاية القرن ١٩ وبداية العشرين ، ساد هذا الفن وانتشر في كل المستويات، وانعكس على الأزياء ، وحلّ السيدات ، وأدوات الزينة .

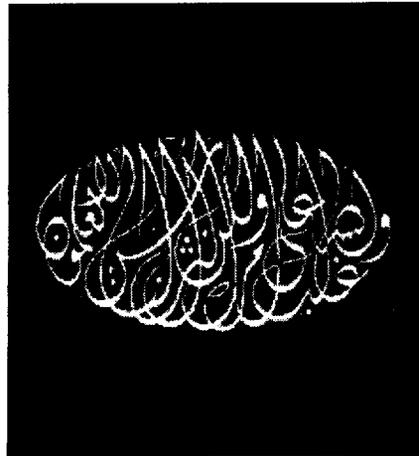
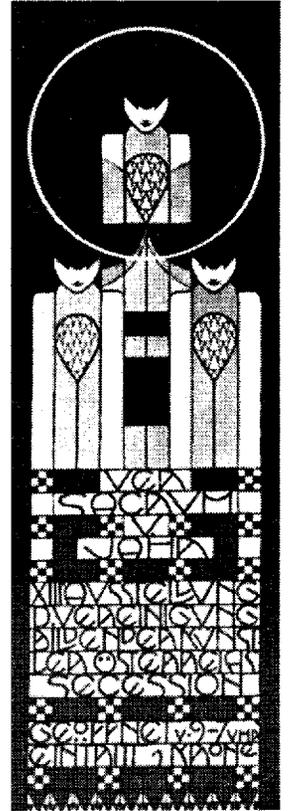
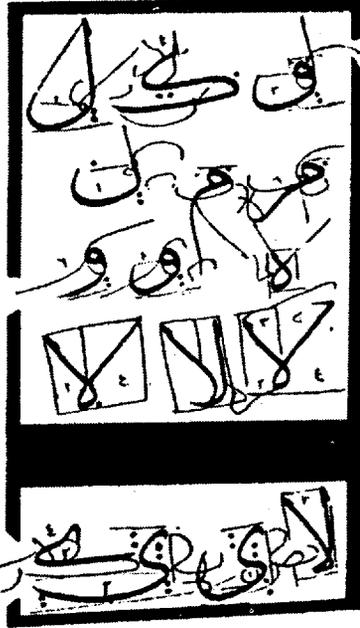
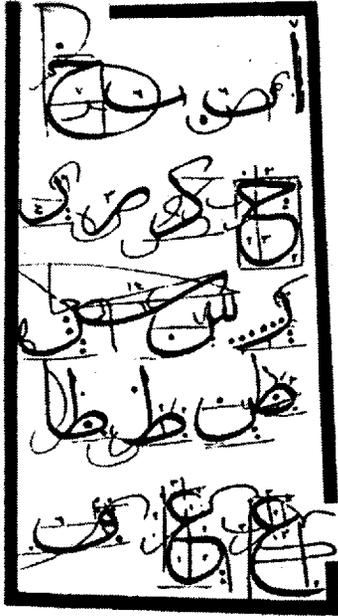
تجميل الكتاب

والكتاب أيضاً.. تناولته الأيدي المبتكرة المبدعة ، أضافت إليه لمسات جمالية على نفس المستوى الرفيع والنسق في التجديد : في غلافه من الخارج ، وفي رسومه وزخرفته بالداخل .. وحتى كتب الأطفال . وكان طبيعياً أن تُصدر أعداد محدودة من تلك الكتب ، للمحافظة على قيمتها كتحفة فنية ، لا يقتنيها إلا الذي يحب الجمال ، ويقدره حق قدره . هذه مجموعة من الكتب المتنوعة شكلاً ، وموضوعاً، ولغة ..

وانتقل التجديد والإبداع إلى حروف اللغة ذاتها: من الصرامة إلى الرشاقة،



ومن السكون إلى الحركة ، ومن العُبوس إلى البهجة . هنا إبداع الفنان بيده المتألفة المدققة ، قبل أن تتراجع وتتوارى مع هجوم التصنيع الكبير والإنتاج النمطي بالجملة بعد بدايات القرن العشرين .



فن الإعلان

وظهر فن جديد ... تأثيره على كل الناس شديد .. سوقه رائجة ، وتطلب : هل من مزيد ؟ .. إنه فن الإعلان ، في كل مكان ، بالصحف وعلى الجدران ، يخاطب - صامتاً - العين والوجدان ، بالكلمات والرسوم والألوان . إنه أثر مباشر لازدهار الصناعة ، ولترويج البضاعة ، والإغراء بالشراء ، وإثارة شهية الأثرياء والبسطاء ، ولو بلا حاجة أو اقتضاء ! . وانفتح مجال

* كان السبب الأول في ابتكار سيارات السباق أوائل القرن العشرين ، هو الترويج للسيارات ذاتها ، وتشجيع الجمهور على شرائها . وإعلان الفنان هنا - أوجين فرنو - يرتكز على فكرة أن السيارة سريعة ، وهي في سرعتها تسابق الريح ، منطلقة بحرية وبلا عائق .



الإعلان واتسع ، ودخله فنانون كبار ، وعلماء نفس وموجهون وتربويون . وتحت سطوة إغرائه وانتشاره ومكاسبه ، سمح بعض أصحاب المكانة والشهرة لأنفسهم بالظهور في الإعلانات ومواد الدعاية . وكانت باريس - في أوائل القرن - مركز الدعاية العالمية ، واتخذت المرأة « سلعة » للإعلان عن السلع ، و«بضاعة» لتسويق البضاعة .

وسرعان ما ظهر تأثير الإعلان على كل المستويات والطبقات . وأصبح له فنانون متخصصون ، ذاعت شهرة بعضهم محليا وعالميا .. بل إن لوحات



* نماذج من لوحات
الفنان الفرنسي :
تولوز - لوترك
الإعلانية من أواخر
القرن ١٩ ، وأول القرن
العشرين .



بعض فناني الإعلان النادرة ، كانت تباع في السوق السوداء . ولدرجة أن
تجار اللوحات الفنية الثمينة القيمة كانوا أحياناً ينصحون زبائنهم
الأثرياء ببيع لوحات لفنانين عظام ، مثل رمبرانت (تباع لوحة واحدة
من رسومه الآن بعشرات الملايين من الدولارات) ، وشراء - بدلاً منها -
لوحة إعلانية لفنان ، مثل : الفونس موشا ، أو تولوز لوترك -
(Toulouse Lautrec). وقد برع لوترك في فن الإعلان (وفي مجالات أخرى
فنية متميزة) ، وله متحف خاص في مدينته آلبى بفرنسا ، يضم مجموعة من
لوحاته الفنية الإعلانية التي اشتهر بها . (توفي عام ١٩٠١) .

فن الأوبرا



* أدلينا باتى (١٨٤٣ - ١٩١٩) الإسبانية المولدة وإحدى الشهيرات المتناقات فى عالم الأوبرا (سوبراند) تبدو هنا فى دور « مارجريت » فى أوبرا فاوست لجوتود . أبهرت الملحنين بقدرتها الفائقة على تليين صوتها الندى الشجى) ، وأمتعت الجمهور - فى عديد من العواصم - وسعدت هى بالحفاوة والشهرة طوال خمسين سنة من عمرها الفنى .

مع انطواء صفحات القرن التاسع عشر ، وبداية العشرين ، زاد إقبال الطبقة المتوسطة - من التى أثرتها الصناعة والتجارة - على ارتياد مسارح الأوبرا ، والاستمتاع بمشاهدة عروضها والحانها ومناظرها (ديكوراتها) وملابسها الفاخر، بعد أن كان هذا الفن الرفيع المستوى قاصراً على الطبقات العليا من المجتمعات . وقد دفع هذا الإقبال المتزايد المؤلفين والملحنين إلى تطوير أعمالهم وابتكاراتهم لتلائم ذوقى الجمهور الجديد والقديم معاً .. فىإلى جانب الموضوعات الأوبرالية التقليدية المستوحاة من التاريخ - الجادة أو الفكاهية - سرى تيار جديد يلائم روح العصر ، ومشاعر كل بلد .



* اوبرا « عابدة » ألفها فردى ، بناء على طلب خديوى مصر (إسماعيل) لمناسبة افتتاح قناة السويس . ولم تعرض فى افتتاح القناة ، لكنها لقيت نجاحاً ضخماً فى عواصم العالم .

* لولو : من أبرز أوبرات القرن العشرين وأكثرها شعبية ، الحان النمساوى البان بيرج (ت ١٩٣٥) الذى توفى قبل إتمامها ، فغرضت فى فصلين فقط وهى تحكى قصة غانية لندنية، ضحية الفقر والقهر ومأسى الدهر .

دخلت على الأوبرا موضوعات تتناول جوانب وطنية وسياسية واجتماعية. ظهر ذلك بوضوح فى أعمال الإيطاليين : فردى (توفى ١٩٠١) ، وما سكاني (ت ١٩٤٥) ، وبوتشيني (ت ١٩٢٤) ، وفى روسيا : تشايكوفسكى (ت ١٨٩٣) ، وفى فرنسا : كلود ديبوسى (ت ١٩١٨) ، وفى ألمانيا : ريتشارد شتراوس (ت ١٩٤٩) ، والتشيكى : جانا شيك (ت ١٩٢٨) ، ثم يبرز فى التجديد ويتفوق فى روسيا : سيرجى بروكوفيف (ت ١٩٥٣) .

التصوير الفوتوغرافي

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ظهر فن جديد (كانت له مقدمات علمية وتجريبية منذ عام ١٨٢٧) ، يجمع بين العلم والتكنولوجيا والبراعة الفنية، والابتكار الدائم المتجدد : فن التصوير الفوتوغرافي (وسوف نتناوله بالتفصيل فيما بعد بإذن الله) ونستطيع أن نقول - بلا مبالغة - : إنه الفن (والتكنولوجيا معاً) ، الذي غير من نظرة الناس إلى العالم ، وتصورهم



* ظهور آلة التصوير الفوتوغرافي المتطورة
كان سبباً في ظهور مدارس جديدة للرسم.

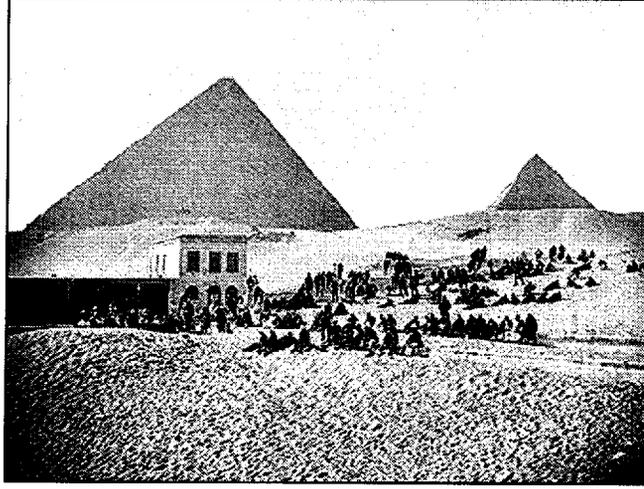


الممثلة الراقصة الشهيرة ماتا هاري -
اتهمت بالخيانة ، وأعدمت عام ١٩١٧ .



* إمبراطور النمسا
فرانسوا جوزيف يركب
حصاناً وهمياً ، ليصنع له
الفنان تمثالاً (١٩١٣).

عن أنفسهم ، وعمما حولهم من أشياء ، وكائنات وجمادات وأحياء ، في أرض ،
أو بحر ، أو سماء . ولا جدال في أن « الكاميرا » - للصور الثابتة أو المتحركة -
هى التى طبعت العصر - وما بعده - بطابع « النظرة البصرية المصوّرة » .. فى
كل شىء تقريباً ، وفى كل مجال أو ابتكار ..



* صورة ضوئية (فوتوغرافية) نادرة لجنود الاحتلال البريطانى عند سفح
الهرم بالجيزة عام ١٨٨٢ .

وقد سجلت الكاميرا مشاهد الحياة اليومية - الخاصة والعامة - بدقة
كاملة (وكان هذا من أسباب ظهور مدارس الرسم الحديثة فى القرن



* اطفال فى شارع باليابان (١٩٠٠).



* الرئيس الأمريكى ماك كينيل قبيل اغتياله بلحظات
(سبتمبر ١٩٠١)

العشرين، بعد أن تفوقت الصور الفوتوغرافية على اللوحات الواقعية والطبيعية (. وأصبحت الصورة في متناول الجميع ، ومعبرة عن الجميع ، محتبسة للزمن ، للّحظة .. مثبّتة للأحداث ، مؤرخة للوقائع : في البيوت والقصور ، في الأكواخ والكفور ، في المباحج والأفرح ، في السجون ومُطلق السراح .

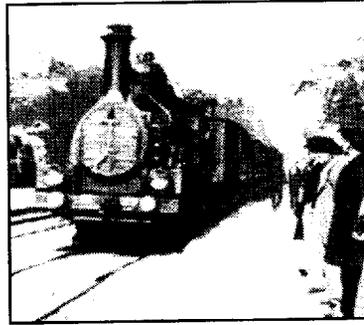
وسرعان ما أصبحت الكاميرا « عين » التاريخ ، وصورها مرجعاً للباحثين والدارسين .. ومادة ثرية جذابة للصحافة والصحافيين . وشغف الناس بهذا الفن ، حرفة أو هواية : من الملوك والأميرات والكبراء ، إلى الأدباء والعامّة البسطاء .

فن السينما

كانت بداية هذا الفن في فرنسا ، حيث نجح الأخوان لوميير في « إنتاج » مشاهد فيلمية من واقع الحياة اليومية ، عُرضت في ديسمبر عام ١٨٩٥ لأول مرة، ودهش الناس بشدة وهم يشاهدون لقطات تسجيلية لبضع دقائق لفيلم «وصول قطار إلى محطة كياتو» ، وبعضهم فزع وأسرع هارباً ! . في مارس ١٨٩٧ أنشأ جورج ميلييس أول ستوديو في العالم - بباريس - للتصوير السينمائي ، وأنتج خلال ١٥ سنة نحو ٣٠٠ فيلم سينمائي ، وابتكر عديداً من العمليات والمصطلحات السينمائية ، وبعضها يُستخدم إلى



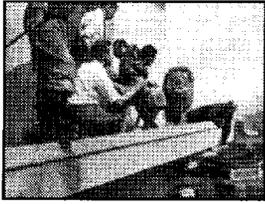
* « رحلة إلى القمر » المخرج ميلييس



* من فيلم « وصول قطار ... » لوميير



* « المدمرة بوتمكين »
آيزنشتين .

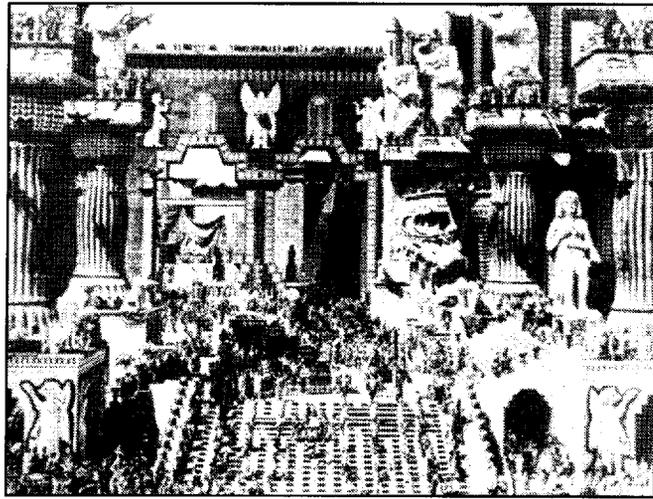


تصوير الأسد شعار شركة
مترو سنة ١٩٢٤ .

الآن : منها استخدام الديكور المتحرك ، والماكيت (النموذج البنائي للمنشآت والبيوت والسفن ..) ، . وطبَع المناظر فوق بعضها البعض ، وتداخل اللقطات في ذوبان ونعومة ، والحِيل ، كالحَجَب أو الإخفاء باستخدام خلفية سوداء (كاشة) . وتنوعت الموضوعات بين واقعية وخيالية ، ومن الأحداث الجارية ، والخيال العلمي ، والفكاهة ...

في عام ١٨٩٨ ظهرت أول مخرجة سينمائية في العالم : الفرنسية أليس جُوى - Alice guy بفيلم « جنّيات الكرب » .

ثم بدأت المنافسة بين فرنسا والولايات المتحدة في مجال هذا الفن ، الذي أدهش وجذب إليه كتلاً جماهيرية ضخمة . أنتج لورى ديكسون (مساعد



فيلم « التعصب » للمخرج جريفيث



شارلي شابلن



« الشبح » للمخرج فوياد

المخترع الشهير إديسون (أفلاماً قصيرة (كينيتوسكوب) ، تصور مشاهد لفرق موسيقية صامتة .

وفي عام ١٩٠٣ أخرج إدوين بورتر (مساعد أيضاً لإديسون) أول فيلم أمريكي ، مستمد من قصة أدبية « كوخ العم توم » أول فيلم سينمائي يحتوى في داخله على لوحات مكتوبة لشرح المواقف أو الفصول ، لأن الأفلام كانت صامتة (لم يظهر الصوت إلا في أواخر العشرينيات) ، ثم أخرج فيلم « السرقة الكبرى للقطار » عن حادثة استيلاء عصابة مجرمين على كمية كبيرة من النقود والأشياء الثمينة بالهجوم على قطار . والبعض يعتبر هذا الفيلم أول أفلام الغرب الأمريكي الشهيرة (Western) ذات الطابع الخاص ، (رعاة البقر) .



« هجمة النزوح إلى الغرب » - أنتوني مان



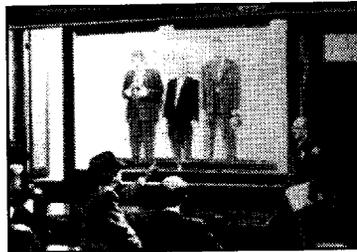
« المواطن كين » المخرج : أورسون ولز



« جرح الوجه » هووارد هوك



« الوهم الكبير » - ج . رنوار



« عندما تنام المدينة » - جون هوستون



* جمهور في مكتبة عامة

وفي بريطانيا ، بدأ ويليام بول في عام ١٨٩٦ إنتاج أفلام قصيرة من البيئة ، على غرار ما فعل لوى لومير في فرنسا . وفي عام ١٨٩٩ أقام أول ستوديو سينمائي في بريطانيا للتصوير والإنتاج . وكان من رواد السينما البريطانية الأوائل : جيمس ويليامسن ، ج.سميث ، سيسل هبورت .

ثم ظهرت الأفلام السينمائية المنتجة في السويد عام ١٨٩٧ ، وفي الدانمارك ١٨٩٨ ، وأول فيلم إيطالي كان « آلام المسيح » ، وظهر عام ١٩٠٠ للمخرج لويجي توبى في عشرة مشاهد . وذاع انتشار السينما في كل أرجاء العالم .

وبدأ الإنتاج السينمائي في ألمانيا عام ١٨٩٦ ، وفي العالم التالي بالمكسيك ، وفي البرازيل عام ١٩٠٣ . وفي عام ١٩٠٤ بُنى أول ستوديو سينمائي في اليابان (طوكيو) ، وفي إسبانيا بدأت السينما بأفلام تسجيلية قصيرة عام ١٨٩٧ ، وحتى عام ١٩٠٠ .

وبعد أيام من عرض أول فيلم فرنسي « محطة القطار » في باريس ، عُرض نفس الفيلم في مصر : أولاً بالإسكندرية (أوائل يناير ١٨٩٦) ثم في القاهرة .

فنون الأدب



* وجبات مجانية
للعاملات المتدربات

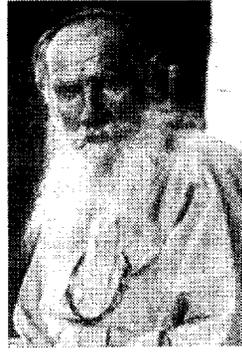
أنشئت المكتبات العامة المجانية . وتكونت جمعيات الرعاية الاجتماعية ، بعضها يقدم المأوى والطعام المجاني للفقراء ، وللمتدربين والمتدربات ، لتشجيعهم على التعلم واكتساب خبرات جديدة تنفعهم وتفيد المجتمع ، وبعضها ينشئ مدارس وفصولاً مجانية ، أو ورشات لإتقان الحرف والصناعات البسيطة ، أو المستحدثة .

وزاد الإقبال على الروايات والأعمال الأدبية ، خاصة مؤلفات الكتاب الكبار ، الذين طبعوا العصر بأفكارهم ونظرياتهم ، وكان لهم تأثير على من جاء بعدهم على امتداد القرن العشرين .

في لندن : شارلز ديكنز ، جورج إليوت ، جورج مرديث (ت ١٩٠٩) ،



إميل زولا



تولستوي

جورج جيسينج (ت ١٩٠٣) ، صامويل بتلر (ت ١٩٠٢) ، توماس هاردى (ت ١٩٢٨) ..

في باريس : بلزاك ، فلوبير ، فيكتور هوجو ، إميل زولا (ت ١٩٠٢) رائد القصة الواقعية ، ألكسندر دوما (الابن - ت ١٨٩٥) ، الذى واصل مسار أبيه في القصة التاريخية الرومانسية .

في ألمانيا : تيودور شتورم ، فريتز رويتر .

وفي إيطاليا : الساندرو مائزوني روائى البطولات الوطنية ، جيوفانى فرجا (ت ١٩٢٢) المجدد في القصة ، وأنطونيو فوجازارو (ت ١٩١١) .

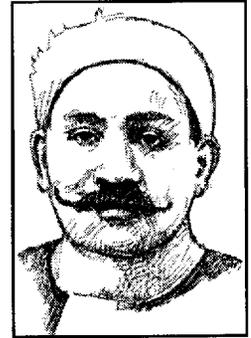
أما النهضة الروائية الكبرى ، فكانت على الجانب الآخر : في روسيا . بعد عصر تورجنف ، وفيودور دوستويفسكى ، جاء ليو تولستوي (ت ١٩٠٢) وتأثيره الكبير على الثقافة الأوروبية والعالمية ، وقد تُرجمت معظم أعماله الخالدة ورواياته إلى كل اللغات ، مثل : الحرب والسلام ، وأنا كارنينا ... وتلقفتها السينما ، وأنتجتها عدة مرات مع أجيال المخرجين العظام .

في مصر والشرق العربى : ساعد ظهور وتزايد وانتشار الصحف والمجلات - منذ أواخر القرن ١٩ - على جذب أعداد كبيرة من الجماهير إلى فنون الأدب ، وخاصة الرواية والقصة .. فقد اهتمت - وتنافست - الصحافة بنشر القصص ، ومنها : الأهرام ، مصباح الشرق ، اللطائف ، الضياء ، فتاة الشرق ، المقتطف ، الهلال ، مسامرات النديم ، مسامرات الشعب ، الفكاهة العصرية ، الروايات الجديدة ، الراوى ، السمير ، الروايات الكبرى ، سلسلة الروايات العثمانية ...

كان الطابع الغالب هو الروايات . أما القصة القصيرة ، فكانت قليلة جداً ،



فيكتور هوجو



المنفلوطى

لم يتعود عليها الذوق العلم . وفي أوائل القرن العشرين ظهر نوع جديد من الترجمة المصرية . وعلى رأس هذه الحركة الجديدة : مصطفى لطفى المنفلوطى (توفى ١٩٢٤)، الذى ارتقى بأسلوب القصة ، وعُنى باللفظ وموسيقى العبارة ، فكان سهلاً مسترسلاً ، ولقى رواجاً كبيراً فى عصره . وكذلك الشاعر حافظ إبراهيم فى قصة «البؤساء» عن مؤلفها الفرنسى (فيكتور هوجو) .

ثم راجت ترجمة النصوص الأدبية : إنجليزية ، وفرنسية ، وإيطالية ، وغيرها ، بأسلوب أدبى جيد سليم . ومن أشهر الذين تفوقوا فى هذا المجال :



حافظ ابراهيم



جبران خليل جبران

إبراهيم عبد القادر المازنى ، ومحمد السباعى ، وعباس حافظ ، و خليل مطران ، وجبران خليل جبران ، ومحمد عوض ، وزكى نجيب محمود ، وفخرى أبو السعود ، وعبد الرحمن صدقى ، ومحمد عبد الله عنان ، ودرينى خشبة ... ثم تلاهم : أحمد حسن الزيات ، الذى أنشأ مجلة «الرواية»، وكان لها اهتمام كبير بالقصة القصيرة المترجمة .

وبرز فى النقد القصصى - فى أوائل القرن العشرين - يحيى حقى .



يحيى حقى

« إن نشوء القصة القصيرة الفنية فى مصر ، واكب انتفاضة الأمة المصرية ، وثورتها العارمة سنة ١٩١٩ . كُتب القليل منها قبل انفجار الثورة ، وهو يتمثل فى قصص محمد تيمور ، ثم تبعه بعد الانفجار - فى العشرينيات من القرن - الرواد الآخرون . وقد انبثقت القصة من الثورات الوطنية ، والفكرية ، والأدبية ، والاجتماعية . ولهذا .. نراها لا تكاد تتخلى عن رسالتها الاجتماعية ، ودعوتها الحارة إلى مجتمع أمثل . »

الصحافة

شهد الربع الأخير من القرن التاسع عشر تجديدات كثيرة وابتكارات واختراعات متعددة ، تطورت وامتدت آثارها إلى القرن التالي ، وأضيف إليها مزيد . كانت الصحافة من بين المجالات التي دخل عليها الابتكار والتجديد : في مواد الطباعة ، والآلات ، وأجهزة البرق والاتصال ، ووكالات الأنباء ، وفي الفن الصحافي ذاته .. في التبويب ، والتصوير ، والتنظيم ، والإخراج ، وأسلوب تناول والعرض ، واللغة... كل ذلك قفز بالصحف والمجلات ، قيمة وانتشاراً وصناعة ، ثم تأثيراً على الرأي العام، وعلى السياسات الحكومية والعالمية

* في مصر :

عرفت مصر فن الصحافة مع قدوم الحملة الفرنسية ، ثم احتكر محمد علي باشا لنفسه هذا الفن ، مثلما احتكر كل شيء في مصر ، فأنشأ « ديوان



محمد علي باشا

الجورنال» لنشر حسابات الأقاليم يوماً بيوم ، وجعل له مطبعة بالقلعة ، ثم أضاف إلى النشرة التي يصدرها هذا الديوان موضوعات أدبية ولغوية وأشعاراً ، وقصصاً ، وموضوعات تاريخية ، وطبية ، ورياضيات ، وبرقيات واردة من الخارج ... وزاد في توزيع النشرة على الدواوين وعلى حكام الأقاليم؛

LATEST INTELLIGENCE THE SIEGE OF SEBASTOPOL.

(Our correspondents are present on the scene.)

VIENNA, Monday Morning.
The Morning Post, which is a paper of no great authority, has the following:-

“On the 16th the whole garrison of Sebastopol, according to 25,000 men, made a sortie.”

“A Russian battle vessel, which was not needed when the messenger left; but the allies had the advantage.”

“We have received at half-past 4 o'clock this morning the following dispatch, dated yesterday afternoon, from our correspondent at Vienna:-

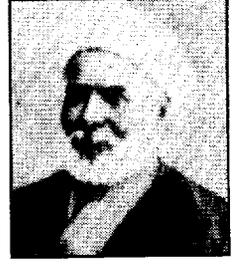
“The news forwarded this morning relative to the sortie was not too true.”

“Reliable information has been given me that the English suffered a very heavy loss, and had three gunboats wounded.”

“It is said that latest intelligence has been received, according to which the Russians had at last been repulsed with a loss of 2,000 men.”

الإعلان عن
إضرابات عمالية في
سيبستبول

الإسكندرية بعدم المعارضة للمذكور في إنشاء المطبعة المحكى عنها .
 قضى جمال الدين الأفغانى ثمانى سنوات فى مصر (مارس ٧٩ -
 أغسطس ١٨٨٧)، شهد فيها نكبة مصر بالديون الأجنبية ، بسبب إسراف
 الخديوى إسماعيل (بلغت ٩٥ مليوناً من الجنيهات) رغم محاولاته التى لا
 تُتكرر فى إدخال النهضة الصناعية والعمرانية الحديثة إلى البلاد (١). كانت تلك
 الديون سبباً فى التدخل الأجنبى المباشر فى شئون مصر وشعبها ، انتهى
 بالاحتلال .



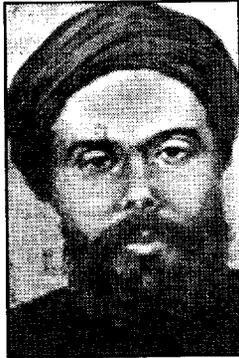
محمد عبده

وفى مجال الصحافة ، كان للشيخ الأفغانى تأثير كبير ، مثلما كان تأثيره
 على القيادات وأولى الرأى .. فقد التحق بالمحافل الماسونية (وأسس محفلاً
 أضيف إليها) ، فكان يلتقى فيها بالأمراء المصريين ، ومنهم الأمير توفيق (بن
 إسماعيل) الذى خلف أباه فى الحكم .

وعلى يد جمال الدين الأفغانى ظهر رجال حظوا بالشهرة ، وكانت لهم
 أدوارهم مع الصحافة ، مثل : الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وإبراهيم
 اللقانى ، وإبراهيم الهلباوى ، وعبدالله النديم ، وأديب إسحق الذى أوحى



مصطفى كامل



عبدالله النديم



الخديو توفيق

إليه الشيخ الأفغانى بإصدار جريدة مصر ، وكان هو (الأفغانى) يكتب
 بإمضاء : « مُظْهَر بن وِضَّاح » . كما أنه أشار على أديب إسحق بإصدار
 جريدة التجارة ، وكان يكتب فيها الشيخ محمد عبده وإبراهيم اللقانى . كما
 أن الأفغانى هو الذى شجع يعقوب بن صنوع لإصدار جريدة « أبو نضارة »
 الأسبوعية السياسية الهزلية . (ويعقوب هذا رجل يهودى ، اتصل بالشيخ
 الأفغانى ؛ وتأثر به) .

(١) لبيان ضخامة الديون الأجنبية هذه ، وثقل وطأتها ، نشر إلى أن ميزانية مصر عام ١٨٧٩ كالآتى :
 ٩٩٤٩٠٠٠٠ جنيه إيرادات ، يقابلها ١٠٢٣٠٠٠٠٠ ج مصروفات (بعجز ٢٨١٠٠٠ ج) . كانت
 مخصصات الخديوى السنوية ٣٠٠٠٠٠٠ ج ومخصصات العائلة الخديوية كلها ١١٠٧٣٥ ج بالنسبة ،
 وميزانية وزارة الجهادية (الدفاع) والمدارس الحربية ٧٠٠٠٠٠ ج ، والخارجية ٩٠١٥ ج ، والداخلية
 مع أعضاء مجلس الوزراء ٢٦٨٠٠ ج سنوياً ، والمعارف (التعليم) ٥٣٠٢٠ ج .

ميدان الأوبرا بالقاهرة
سنة ١٩٢٠ وبه
تجمعات طلابية
وشعبية وبينهم باعة
الصحف .



لما طُرد جمال الدين الأفغانى من مصر ، لحق به الشيخ محمد عبده في فرنسا، وأصدرا معاً في باريس جريدة « العروة الوثقى » .

بعد الثورة العربية وفشلها ، واحتلال الإنجليز لمصر ، وعزل إسماعيل ، انقسم الرأى العام بين مؤيد لإسماعيل ،ومعارض له ...بين مناصر لعرابى ، وساخط عليه . وانعكس ذلك على الصحف والمطبوعات ، وشجع على ظهور صحف جديدة ، لتعبر عن الآراء المتحالفة المتضاربة ، وتثير الرأى العام، مثل: « مصر الفتاة » ، و « المقطم » لسان حال الاحتلال (١٨٨٨) ، و«المؤيد» لمقاومة المقطم (١٨٨٩) ، وتفنيد مزاعمها .. وكان يحررها الشيخ على يوسف ، وأسهم الزعيم مصطفى كامل في تحريرها .

في يناير ١٩٠٠ صدر « اللواء » جريدة مصطفى كامل ، وأعلنت عن برنامجها من أول يوم : « خدمة الوطن والإسلام ، بأشرف السبل وأنفعها ،

صورة من مطلع القرن
العشرين لجانب من
جمهور المستمعين إلى
الزعيم مصطفى كامل
بدار اللواء بالقاهرة .



الشيخ
على يوسف

والسعى وراء الاتحاد والوفاق بين بعض المصريين وبعض من جهة ، وبين كافة المسلمين من جهة أخرى ، والعمل على تربية أبناء مصر أحسن تربية وطنية ، وترقية التجارة والصناعة ...» .

الرأى العام

تضافرت عوامل كثيرة ساعدت على تكوين رأى عام للأمة أو المجتمع ، له قوته وتأثيره فى اتخاذ القرارات ، واتجاه السياسات ، ومسار الأحداث . من هذه العوامل :

انتشار التعليم ، وزيادة أعداد الصحف والمجلات ، واتساع مناطق توزيعها ، وتقارب المسافات بين الناس ، سواء فى المدن ، أم الضواحي والأقاليم بسبب التجمعات السكانية المكثفة ، وأيضاً بسبب وسائل الانتقال والاتصالات السريعة ، وبسبب اختراع البرق ، ثم الهاتف (التليفون) . ومن هذه العوامل المكونة للرأى العام أيضاً: إنشاء الأحزاب والنقابات المهنية والعمالية ، وتنامى الطبقة المتوسطة ، والإحساس المشترك بالظلم ، أو القهر، أو السيطرة ، أو الاحتلال والعدوان ...

وكان للنهضة الأدبية والفنية تأثير كبير على إيقاظ الأذهان والضمائر ، وتنبيه العقول والمشاعر ، يغذيها المفكرون والأدباء والشعراء والفنانون ، كل بأسلوبه ، وكفاءته ، ومنهجه ، وقدرته ، وينفخ فيها ويوهجها ساسة



* مظاهرات أعضاء النقابات العمالية ، تعلن بجرأة عن مطالبها بعد طول معاناة وظلم وقهر ، فى رسوم من بريطانيا وفرنسا وألمانيا (بين ٨٣-١٨٩٩)



إسماعيل باشا

محتكون محترفون ، وقادة طامحون مُطاعون ، بعضهم يُضمر الانتفاع والاستئثار بمغنم ، وبعضهم يضحى بنفسه ويتسامى عن أى مطمع . ومن هؤلاء الذين تألقوا في تلك الفترة المواقبة لمطالع القرن العشرين : جفرسون ديفيز (الولايات المتحدة) بطل الدفاع عن حقوق الولايات ، وتوسيع مدى إلغاء الرقيق ، ليشمل المناطق الغربية الأمريكية . والكاتب السياسى الروسى ألكسندر هرزن ، وبطل الانتصار اليابانى على الأسطول الروسى سنة ١٩٠٥ الأدميرال توجوهيهاشيرو (ت ١٩٣٤) ، وشارل ستيوارت بارنل فى أيرلندا ، وكيرهاردى فى إسكتلندا (أبو الاشتراكية الاسكتلندية مع كاننجهام) ، وجون ستيوارت ميل فى إنجلترا ... وغيرهم .

من الحق أن يقال إن الخديوى إسماعيل - فى مصر - ساعد بالمال والاحتمال - فى فترة من حكمه - على ظهور ونمو الصحافة الحرة الشعبية فى



* الفوار الاشتراكيون فى باريس يحطمون تمثال نابليون (١٨٧١)



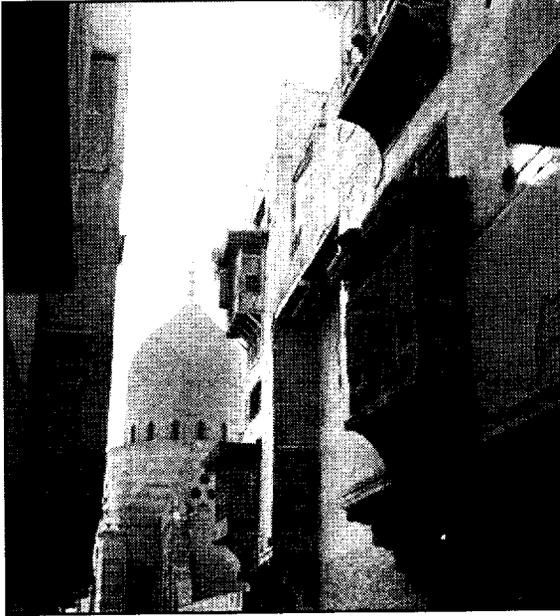
توجوهيهاشيرو



* فى القاهرة أواخر القرن ١٩

مواجهة الاحتلال، (كما فعل ذلك مع سليم النقاش ، وأديب إسحق ، وأحمد فارس الشدياق ...) . وهذه الصحافة الشعبية بدورها أسهمت في إيقاظ وتكوين الرأي العام ، الذي بلغ ذروته وأكبر انتصاراته في ثورة ١٩١٩ .

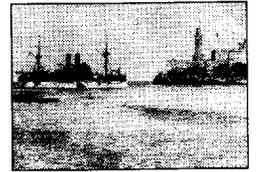
ومن بين الصحافة الحرة الجريئة التي كانت تشدد في نقد الوزيرين الأجبيين بالوزارة المصرية - وكان تعيينهما حسب شروط الاحتلال - جريدة (الوطن) لميخائيل عبدالسيد ، وجريدة مصر ، وجريدة التجارة .



وفي عام ١٨٧٨ تآلفت هيئة شعبية باسم « الجمعية الوطنية » أو الحزب الوطنى من أعضائها شريف باشا (وله دور سياسى وجماهيرى وطنى كبير) ، وشاهين باشا ، ومحمد لطفى باشا ، وراغب باشا ، وسلطان باشا .

وفي الإسكندرية تآلف « اتحاد الشبيبة المصرية » برئاسة عمر لطفى باشا محافظ الإسكندرية ، ومن أعضائه : إبراهيم أبو هيف ، وإبراهيم بك مسعود ، ومحمد بك شوباش ، وعبدالغفار الغريانى ، وقد دعت لجنة إلى الاستقلال الاقتصادى ، وإنشاء بنك (مصرف) وطنى للمصريين (١٨٧٩) .

وفي الإسكندرية أيضا (١٨٧٨) أنشئت الجمعية الخيرية الإسلامية



باخرة تدخل البوغاز
السكندرى سنة ١٨٩٨ .

* الإسكندرية
أوائل القرن
العشرين



بدعوة من الكاتب الأديب الصحافي عبدالله النديم ، وبعض أثرياء المدينة ،
لمقاومة الطغيان الأجنبي بكل صوره ، وفتح المدارس الحرة لتعليم البنين
والبنات ، وتهذيب الأخلاق ، ومساعدة الفقراء (وهى غير الجمعية الخيرية
الإسلامية الحالية التى تأسست عام ١٨٩٠) .

وفي القاهرة ١٨٨٢ ، ظهرت هيئة شعبية باسم « جمعية المقاصد
الخيرية » ، ومن أعضائها : الشيخ محمد عبده . والشيخ محمد عبده ، هو
امتداد لعلماء وشيوخ سياسيين كبار ، سبقوا بأداء دورهم فى الدفاع عن
الشعب وحقوقه ضد استبداد الحكام ، وضد جبروت الاحتلال ، بل وضد
مظالم الدولة العثمانية ذاتها . ومن أمثال هؤلاء الذين لا ينساهم التاريخ :
الشيخ المنصورى ، والشيخ على الصعيدى ، والشيخ الدردير ، والشيخ
العروسى ، والشيخ عمر مكرم ، والسيد البكرى نقيب الأشراف .. وقد ذكرت
صحيفة البروجريه الفرنسية المصرية (ظهرت عام ١٨٦٩ ، واتجاهها
معارض للخديوى إسماعيل) فى ديسمبر ١٨٨٩ ، قالت : « إن المصريين
بدأوا يهتمون بالسياسة ، ويتقبن الأخبار الواردة من الأستانة ، ويعلقون
عليها : إن الرأى العام يتكون فى مصر » .

وكان لظهور رجال ، مثل : عبدالسلام المويلحى ، صاحب الصوت الوطنى
المجلد فى مجلس شورى النواب (أو مجلس النواب المصرى) ، كان له
تأثير كبير على الرأى العام . ورجل مثل شريف باشا (رئيس وزارة ١٨٨٩)



محمد شريف باشا



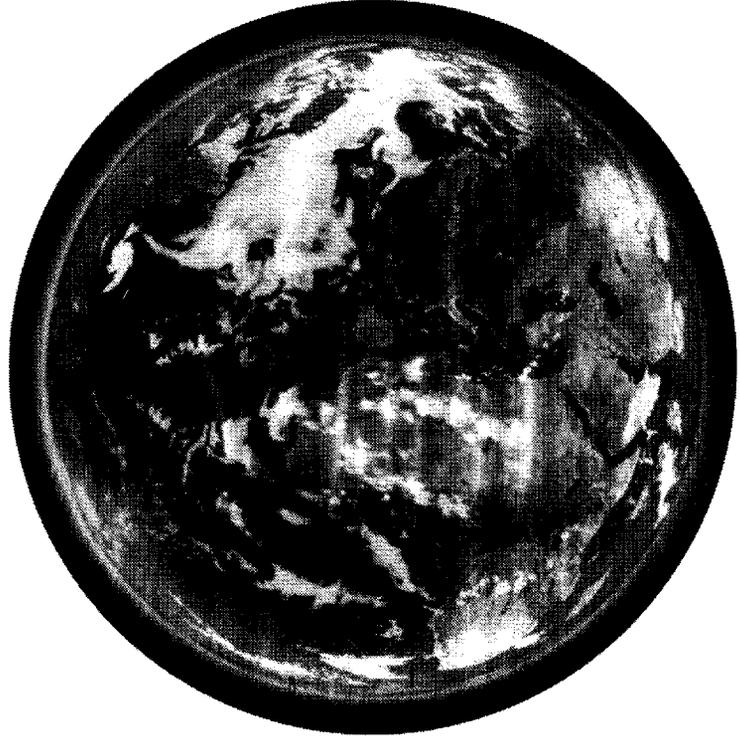
عبد السلام المويلحي (باشا)

يستحق الإشادة بمآثره بالتفصيل مستقبلاً إن شاء الله ، حتى تعتر الأجيال اللاحقة بمن سبقهم من الرجال العظام . وقد كتب عنه الشيخ محمد عبده في مذكراته : « كان شريف باشا - رحمه الله - من أقوى عوامل النهضة التي انقلبت إلى فتنة » . وشريف باشا هو واضع أول دستور في مصر على أحدث المبادئ العصرية .

العالم الإسلامي

ذاق العالم الإسلامي مرارة الضعف والانكسار في القرن التاسع عشر ، حتى منتصف القرن العشرين تقريباً ، في الوقت الذي نهضت فيه دول العالم الغربي وروسيا واليابان ، سياسياً ، وعسكرياً ، واقتصادياً ، وتكنولوجياً ، واجتماعياً ، فتعرضت الحضارة الإسلامية لهزات عنيفة متلاحقة ، ليس في أطراف العالم الإسلامي وحسب ، بل في قلب هذا العالم الذي أحاطت به مطامع القوى الكبرى الراصدة المترقبة ، وهي تعلم يقيناً أن حضارة الإسلام (وإن وهن المسلمون) فريدة رشيدة ، مستعصية على الإبادة والزوال ، كما حدث مع حضارات الفراعنة أو الإغريق والرومان ، لأنها في جوهرها خالدة أبدية ، لا تغفو ولا تنام ، لن تندثر ولن تموت ، بفضل الله .

كانت طلائع زحف تلك القوى الإمبريالية على العالم الإسلامي ممثلة في



* السيطرة الأوروبية على العالم الإسلامي (حتى ١٩٢٠)

وفود الخبراء والمستشارين ، والعلماء المنقّبين ، والمفكرين المتحذلقين ، وطوائف المستشرقين ، وجماعات المبشرين .. كلها تبحت وتفتش ، وتجمع المعلومات ، وتثير القلاقل والفتن والمنازعات ، وتبهر الشعوب الغافلة المتخلفة ، بما تحمل إليها من معارف جديدة، وتكنولوجيات حديثة ، وأفكار مزيّنة . وجرت محاولات للإصلاح والتجديد هنا وهناك في العالم العربي والإسلامي ، لكنها كانت انتفاضات وقتية باهتة ، سرعان ما زالت آثارها ، وأخذت أنفاسها ، فانطفأت أنوارها لأسباب كثيرة .

وفوق ما حدث في تاريخ الحضارات الكبرى ، واجهت حضارة الإسلام قوى عنيدة متجمعة ، انتهزت فرصة ضعف المسلمين وتخلفهم علمياً ومادياً وصناعياً ، مع تفرقهم وتنازعهم ، وشدة الضغائن والخصومات بينهم ؛ فغالبتهم تلك القوى بكل الوسائل ؛ وتغلّبت . فلما سادت وتمادت ، حاولت - وكثيراً ما نجحت - تشكيل العالم الإسلامي على نهجها وصورتها .

إن البداية في غزو العالم الإسلامي فكرياً واقتصادياً وعسكرياً ، كانت مع الحملة الفرنسية التي جاءت إلى مصر والشام بعد زمن طويل من الحروب



الصليبية الفاشلة ، ثم استمرت الضربات تتلاحق ، يتلقاها العالم الإسلامي من الإنجليز (في الشرق الأوسط ، وأفريقيا ، والهند) ، ومن الهولنديين (جنوب شرق آسيا) ، ومن روسيا القيصرية (التي احتلت مناطق القوقاز ، وجزءاً كبيراً من إيران ، وأذربيجان ، ووسط آسيا) . وتقدم الفرنسيون يقطعون نصيبهم في شمال أفريقيا : الجزائر وتونس والمغرب ، ثم زحفوا لاحتلال مناطق الصحراء الكبرى الأفريقية حتى السنغال ، وكلها ممالك إسلامية ، حتى وصلوا إلى حدود السودان ، الذي فرضت بريطانيا نفسها عليه في الحكم مع مصر ، ثم فصلته عنها ، واستأثرت به احتلالاً واستعماراً .

ولم يَبْقُ في أواخر القرن التاسع عشر إلا بقايا الدولة العثمانية المريضة التي توشك على الاحتضار ، فترصدت لها عيون القوى الأوروبية الكبرى آنذاك . ولحقت بها في انتزاع ولو « شرائح » من الغنيمة ، دول صغيرة الحجم في الميزان الدولي ، مثل إيطاليا (بسطت حمايتها على ليبيا) ، وإسبانيا

(محميات صغيرة شمال المغرب وجنوبه) .

وفي سنة ١٩٢٠ اختفى اسم « الدولة العثمانية » من العالم ، حيث تقلصت في مساحة محدودة ، عُرفت - وما زالت - باسم : تركيا . ولم يبق «مستقلاً» من إمبراطورية العالم الإسلامي الفسيحة كلها إلا : أفغانستان ، واليمن (بدون عدن) ، ووسط وغرب وشمال الجزيرة العربية .. فقط !.

* اسماعيل بك غسبرنسكى
داعية الإنقاذ والإيقاظ
يتلقى الإهانة من
المتخلفين أديعاء العلم
المستور .

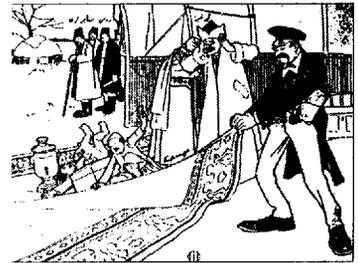


* « وتحسبهم أيقاظا وهم رُقود » .. أو نيام .. نيام . المألا
نصر الدين (تلاحظ مدلول الاسم) الشخصية الرئيسية في
الرسوم يُنادى ليوقظ النوام ، ولكن لا نُجيب !

ويوجد بين أديينا بعض صحف ومطبوعات تلك الفترة الزمنية الغابرة .
والصحافة - كوسيلة إعلامية بارزة - مرآة ووعاء : مرآة تعكس صورة
المجتمع ، وما يدور فيه ويدخل عليه ، ووعاء يختزن الأحداث والوقائع
والأفكار والآراء والأشخاص والأحوال، يوماً بيوم ، ليكون حكم التاريخ بعد
ذلك لها أو عليها.

زادت وانتشرت أعداد الصحف والمجلات في العالم الإسلامي شرقاً وغرباً
في النصف الثاني من القرن ١٩ وأوائل العشرين . فقد شهد مطلع القرن
مثلاً: نحو ١٥٠ صحيفة ومجلة منتشرة في مصر ، و ١٦٠ في آسيا الوسطى ،

* الصراع بن التعليم
الحديث والقديم في عليكرة
بالهند : الأول يمسك بطرف
الهلال (شعار المسلمين)
يرفع عاليًا ، ويحاول
إنقاذهم ، والثاني إلى اليسار
يضغط ليقتل .



* ممثل الحكومة الروسية الراجبة في التوسع يسحب
البساط من تحت المسلمين القرغيز ، ويطردهم قائلاً :
« اخرجوا من هنا .. فالأوكرانيون يريدون هذه
الغرفة » ! (نفس الذي فعله اليهود بعد ذلك بسنوات
في فلسطين !) .

و ٣٧٠ في إيران ، وأكثر من ذلك في تركيا العثمانية ، وأكثر من مائة في مناطق المسلمين في الصين (بين ١٩١٣ - ١٩٢٩) .

ولعل صحيفة تثار القرم الإصلاحيين ، واسمها « الترجمان » ، التي



(٢)



(١)

أنشأها عام ١٨٨٣ إسماعيل بك غسبرنسكى ، لعلها تصلح مثلاً على أشهر الصحف في النقد اللاذع ، وأكثرها جاذبية للجماهير . وعلى المستوى نفسه كانت « جريدة معهد عليكرة » بالهند ، أنشأها أيضاً أحد دعاة الإصلاح هناك عام ١٨٦٦ ، وجريدة « الجواب » العربية ، التي حظيت بمكانة كبيرة بين القراء في بلاد كثيرة .

وهذه الرسوم كاريكاتورية من صحف تفليس بالقوقاز ، ومن شمال الهند ، في الفترة بين ١٩٠٦ - ١٩١٣ ، تعكس أفكار وآراء ذلك العصر ، وهي تعبّر بحرية كبيرة وسخرية ذكية - وموضوعية - في النقد ، ربما لأنها كانت تصدر في أطراف العالم الإسلامي في منأى عن قبضة السلطات الحاكمة الضاغطة الباطشة في قلب العالم الإسلامي ومركزه . وهي تؤكد - من ناحية أخرى - الإحساس السائد الغالب حينذاك ، بأن العالم الإسلامي ، رغم الاستعمار ، والضعف ، والتخلف ، والمحن ، وعلى اتساعه ، واحد في الأحزان والأفراح ، في المشاعر والرغائب ، في إدراك المخاطر والمثالب ، في الحرص على الإصلاح والنهوض ، وكسر العوائق والقيود .

(١) تضايفر الدب الروسى مع الجمود العلمى والتعلمى المتخلف يكاد يخلق دعاة الإصلاح والتجديد .

(٢) كانت شكوى العلماء المتحلقين المستريين أن الأولاد الذين يذهبون يوماً إلى المدارس الحديثة فسدت عقولهم . و تراهم هم في عزلتهم ومجلسهم غفاة غافلين ، وكثيراً ما تصادموا مع إخوانهم العلماء المستنيرين .

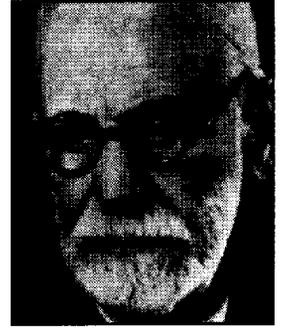
الاكتشافات والاختراعات الكبرى (١٨٨٠-١٩١٥)

المكتشف أو المخترع	الاكتشاف أو الاختراع	السنة
توماس إديسون	المصباح الكهربائي	١٨٧٩
توماس جريى	السيسموجراف (جهاز قياس الزلازل)	١٨٨٠
باستير	الحصانة ضد مرض الماشية : الجمرة	١٨٨١
هارى سيلى	المكواة الكهربائية	١٨٨٢
كوخ	- اكتشاف البكتيريا العسوية للدرن (السل)	
سير هيرام ماكسيم	البندقية الآلية	١٨٨٣
لويس وترمان	قلم الحبر	١٨٨٤
جو تليب ديملر	- محرك الاحتراق الداخلى	
ويليام بوروف	آلة بمحرك بترولى	١٨٨٥
جو تليب ديملر		
جوتليب ديلمر	الدراجة النارية (الموتوسيكل)	١٨٨٦
كارل بنز	- السيارة بمحرك بترولى	
جودوين	الفيلم السلولوزى (للتصوير)	١٨٨٧
هرتز	- اكتشاف الموجات الكهرومغناطيسية	
جون دنلوب (وقال : إن العالم سيمشى على الهواء) !	الإطار المطاطى للعجلة	١٨٨٨
نيقولا تسلا	- محرك بالتيار الترددى	
إميل برلينر	- مسجل الجراموفون	
جورج إيستمان	الفيلم الفوتوغرافى مع أول كاميرا كوداك	١٨٨٩
جيش رينو	السلم المتحرك (صعودا وهبوطا)	١٨٩٢
الأخوان : لومير	السينيما توجراف (آلة العرض السينمائى)	١٨٩٣
ج . نورثروب	النول الآلى (الأتوماتيكى)	١٨٩٤
شارل بارصونز	أول سفينة توربينية تنزل البحر	١٨٩٥
ويليام رونتجن	- اكتشاف أشعة (X) السينية	
ماركونى	- التلغراف اللاسلكى	
كينج جيلت	- موس (شفرة) الحلاقة	
جوزيف طومسون	اكتشاف الإلكترون	١٨٩٧
رودولف ديزل	محرك الديزل	١٨٩٨



* جون دنلوب يركب دراجة بعجلتين هوائيتين من اختراعه .

كورى وزوجته ميرى ج . براندينجر جراف فرديناند فون زيلين ماكس بلانك فرويد بنيامين هولت ماركونى هربرت سسيل بوث	- اكتشاف إشعاع الراديوم السيلوفان سفينية الفضاء (المنطاد الهوائى) - نظرية الكم (quantum) - صدور كتاب : تفسير الأحلام - الجرار اختراع الراديو (اللاسلكى) - ابتكار المنكسة الكهربائية (بالشفط) - مجموعات الدم - الآلة الكاتبة الكهربائية الهورمونات - اكتشاف طبقة الأيونوسفير (بالغلغاف الجوى) - الراديوم - أجهزة تكييف الهواء - أسطوانة الكبُح (الفرامل) للسيارة أول طائرة تطير بنجاح - جهاز رسم القلب الكهربائى الصمام الثنائى المفرغ نظرية النسبية - السيليكون - الرغوة الكيميائية لإطفاء الحريق - جهاز الطرد المركزى المائى التجفيف بالتجميد - أفلام الرسوم المتحركة - إدخال الصوت (وليس النطق) على أفلام السينما - اختبار الكشف عن مرض الزهرى الغسالة الكهربائية	١٩٠٠ ١٩٠١ ١٩٠٢ ١٩٠٣ ١٩٠٤ ١٩٠٥ ١٩٠٦ ١٩٠٧
كارل لاند ستينر ثادىوس كاهيل ويليام مادوك، إرنست ستارلينج آرثر إيدوين ، أوليفر هيفيسايد بيرومارى كورى ويليام كازير فردريك لانشتير أورفيل ، ويلبور رايت ويليام أينثوفن جون فلمنج ألبرت أينشتين فردريك كيبنج الكسندر لورنت هرمان فوتينجر آرسن د . ، جورج بوردا جيمس بلاكتون ، والتر بوث أوجين لوست أوجست فون واسرمان شركة آلات هورلى		



فرويد

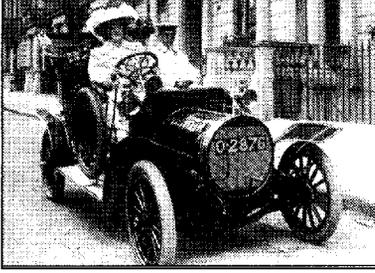


ماركونى واختراع الراديو



لوى لومير آرثر كورن	- التصوير الفوتوغرافي الملون - جهاز الفاكس: إرسال الصور طبق الأصل	١٩٠٨
ليو بيكلاند	البكليت : مادة بلاستيكية تصنع منها أقلام الحبر والتليفونات ومقابض المظلات ...	١٩٠٩
فريتز هابر شارل نيكول	النشادر الصناعي - السبب في حمى التيفوس	١٩١٠
فرانسيس روس توماس مورجان	فيروس الأورام - نظرية الجينات الوراثية	١٩١١
جورج كلود فيكتور هيس	- أنوار النيون الأشعة الكونية	١٩١١
إرنست رثرفورد، بوهر جون ويلر هيك أونس	- نظرية تكوين الذرة فكرة وجود الثقب الأسود الكوني - فرط توصيلية (حالة من المقاومة الكهربائية الضئيلة في بعض المواد، كالرصاص والزئبق عند تبريدها في درجة حرارة قرب الصفر المطلق)	
ألفريد بنيت	- اختبار بنيت للذكاء	
جاي مونروى	- الحاسبة الأوتوماتيكية (عمليات الجمع والقسمة آلية بالكامل)	
ليون لوفاسير كان بمير فونك	- الطائرة أحادية السطح (جناح غير مزدوج) فيتامين ب ١	١٩١٢
شركة شمال بريطانيا للقاطرات هارى بريزلى	- قاطرة الديزل الفولاذ (الصلب) الذى لا يصدأ	١٩١٣
توماس أوزبرن، لافاييت مندل جورج فون هفسى، فردريك بانث	- فيتامين ا (A) - تصنيف النظائر المشعة	
هنرى فورد مارى جاكوب أوسكار بارناك	- خط التجميع للإنتاج بالجملة حمالة الصدر (للنساء) - آلة التصوير ٣٥ مم (لا يكا)	١٩١٤
د . فون تابن	- قاذفات اللهب	

هندريك جوهانز	تعديل السعة (AM) في الإذاعة اللاسلكية (تعديل حامل الموجات بتغيير سعته)	١٩١٥
---------------	--	------



ميراث العلوم، وأعاجيب الوراثة

بميراث كبير من المعارف والمكتشفات والعلوم ، هذا القرن بدأ . وكما استهلّ في عامه الأول بإعلان نبأ عن توصل بحوث ثلاثة علماء في ثلاث دول مختلفة (في هولندا، وألمانيا ، والنمسا) إلى تأكيد نظرية « جورج مندل » عن الوراثة وآثارها (دون معرفة أى شىء عن أسلوب أو « ميكانيكية » عملها) ، كذلك يأتى ختام القرن - قرن العلوم المبهرة ، والتكنولوجيا المتقدمة - بإثارة ضجة كبرى عن استنساخ حيوان كامل النمو سليم الحياة ، من حيوان أم ، مباشرة عن غير الطريق الطبيعى المعروف بالتلقيح . وثار جدل شديد صاحب في العالم كله : هل سيتحقق ذلك قريباً مع الإنسان ؟ ، وهل هى قدرة بشرية جديدة تُعارض أو تُنافس قدرة الخالق - سبحانه وتعالى - وتُفرد به بالإيجاد والإبداع ؟ .

قبل الإجابة عن السؤال الأول ، نتوقف قليلاً عند السؤال الثانى : هل حقاً قفز الإنسان في نهاية القرن العشرين قفزته الهائلة تلك بنجاحه فى عملية

1901, M. Mendel confirmé.

Trois naturalistes ont retrouvé indépendamment les uns des autres, et sur des exemples différents, les lois que Georg Mendel avait établies pour l'hérédité des caractères du Pois. Hugo de Vries, Hollandais, a travaillé sur les

Onagracées et retrouve les variations discontinues (en nombres entiers), confirmées par l'Allemand Carl Correns et l'Autrichien Eric von Tschermak. Le mécanisme même de l'hérédité reste entièrement inconnu.

* الصحيح رياضياً أن القرن العشرين يبدأ من عام ١٩٠١ ، لكن الناس تعارفوا - أو شاع بينهم - أنه يبدأ من عام ١٩٠٠ ، ولا ضير أن يؤخذ أحياناً بالغرف . وهذا ما نشر عام ١٩٠١ عن تأكيد صحة نظرية مندل عن الوراثة .

التكاثر الحيوانى بالتكرار المتطابق مع الأصل (وليس بالتزاوج والإخصاب) ، متحدياً ببراعته ما تؤكده الأديان السماوية من قدرة الله الخالق وحده دون سواه ؟؟ .

قيل عالمياً كثير في هذا الشأن ، واستَعَرَّ الجدل والدجل ، واحتدم النقاش والهراش .. ففرح بحُجته البعض واغتبط ، بما ظنه طَعْن في الدين بلا شطَط . وجنح آخرون إلى ما تيسر من تفسير وتأويل ، لعله يدفع الحُجة ويقيم الدليل . وتحير فريق من الناس ، من المسالمين صادقى الإحساس ، الذين سرعان ما يستثيرهم الوسواس الخناس . والمسألة - بحمد الله - لا غموض فيها ولا التباس ، إذا ما رجعنا إلى ثوابت الأصول في الأساس .

نقول - مستعينين بالله - : إن الإسلام خاتم رسالة السماء إلى سكان الأرض ، وبكل الجلال والجمال والقوة والتبيان ، لا يقف أبداً موقف «دفاع» أو «تبرير» ، خاصة مع أولئك الذين يصرخون ويصخبون عن هوى سقيم ، وقصد ذميم ، ونية سيئة ... لأنه - ككل لا يتجزأ - أرسى القواعد العامة ، وأقام الأركان الثابتة ، لم يفرط في شىء ، ولم يغفل عن بيان شىء . وفي هذا الموضوع بالذات - الذى نحن بصدده - لا نسرع بالجوء أولاً إلى قوله تعالى في سورة المؤمنون : «... فتبارك الله أحسن الخالقين » ، ثم نقول : انظروا !! ها هو القرآن يحترز ، ويصرِّح بأن الله يُجرى معجزات يصنعها بعض خلقه ، مثلما أحيا أحدهم الموتى ، أو نادى غيره الطيور المقطعة الأجزاء الملقاة فوق الجبال ، فجاءته عقب نداءه تطير وتحلق . لا . ليست هذه حُجتنا ، ولا برهاننا في البداية من خلال تلك الآية الكريمة ، لأنها وردت في معرض الحديث عن «معجزة» خلق الإنسان ، و«إبداع» الخالق - جل وعلا - في إحكام هذا الخلق مرحلة بعد مرحلة ، وصياغة بعد صياغة ، مما وضح جانباً كبيراً منه علم الطب ، وعلم التصوير في القرن العشرين ؛ فجاء ختام الآيات : «... فتبارك الله أحسن الخالقين » ، أى أحسن المبدعين في ذروة الدقة والإحكام والعلم ، مهما تتابعت المراحل ، وتطلب الأمر استمرار زمن وتطور نمو في ظلام الأرحام . وهى بحق «معجزة» تتحدى - فى هدوء وصمت - كل قدرات البشر على امتداد العصور والقرون ، وتتكرر كل يوم ، بل كل ساعة .

وهنا تبرز أمامنا كلمة « المعجزة » ، وكلمة « التحدى » . وهما - من منظور الإسلام والإيمان - قائمتان إلى يوم القيامة . كيف ؟ .

لأن كلمة « خلق » و« حَلَق » تعنى : إيجاد الشىء من عدم على غير مثال



صورة حقيقية للجنين حيا في بطن الأم وعمره ١٤ أسبوعا .



النعجة دولي والعالم
البريطاني الذي أثار في
منتصف التسعينيات
ضجة عالمية حول
الاستنساخ .

سابق . وكل شيء حي ، وكل كائن حي في عالمنا المدرك - من وحيد الخلية إلى الإنسان المكرّم - خُلق ووُجد في هذا العالم (والله يعلم ما بالعوالم الأخرى) بقدرة الله تعالى من عدم ، وعلى غير مثال سبق . وقدكفانا علماء هذا القرن العشرين العالميين الكبار - وبعضهم حائز على جائزة نوبل - مشقة الرد ، الذي أصبح ممجوجاً مردولاً على أدعياء الوجود بالصدفة ، والوجود بالتطور ، والوجود بالتناسخ ، مما ثار وفشَى واستشرى في القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين .

وماذا فعل علماء « الاستنساخ » مؤخراً ؟ . تعاملوا - كما سوف نرى - مع خلية « حية » ، « وبويضة » حية .. أى مع خليتين حيتين مخلوقتين - بقدرة الخالق عز وجل - وموجودتين بالفعل في واقع الحياة . هل يستطيع أحد ادّعاء القدرة - في عصر التكنولوجيا الحديثة ، وتفتيت الذرة ، والصعود إلى القمر - على « خلق » ، أو « إيجاد » خلية حية واحدة - فقط واحدة - وهو يعرف الآن مكوناتها وأوزان عناصرها حق المعرفة ؟؟ . هل يستطيع؟! .. إذن لا خلق هنا في عملية الاستنساخ ولا خالق .

وهذا يردنا إلى « أصل » المسألة ، و« أساس » التفكير الإيماني الرشيد السديد - كما علمنا القرآن الحكيم - سواء في موضوع الاستنساخ الذي أثير في أواخر القرن العشرين ، أم في أى موضوع آخر يستجد إلى القرن العشرين بعد الألف ، إن شاء خالق الأرض والسموات ومن فيهن أن يمتد عمر الأرض وأهلها إلى ذلك الحين ! .

في القرآن الكريم آيتان خالدتان تُريحان المجادلين بالحسنى ، وتردّان المعاندين - في عنّت ولجاجة - على أعقابهم ؛ فينقلبوا خاسرين ، أو لعلهم يتدبرون بالحُسنى ؛ فيسلّموا طائعين . يقول تعالى - منذ أربعة عشر قرناً - في محكم التنزيل ، في سورة المُلك : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً ، فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه ، وإليه النشور » . ولحكمة ما ، تأتي تلك الآية الكريمة في سورة « المُلك » . والعنوان يوحى بأن « الملك » الله ، مالك السموات والأرض وما بينهما ومن فيهن ، ومالك - أو مَلِك - يوم الدين ، يوم القيامة ، يوم « النشور » . والآية الثانية : « إن فى خُلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » - آل عمران / ١٩٠ .

وانظر - هداك الله - إلى كلمة « جعل » ، وكلمة « ذلولاً » : جعل هنا بمعنى: « قَضَى ، وأمر ، وسخّر بعد أن أوجد » . هكذا بالنسبة للأرض ، ثم ذلّلها

«لكم» ، للناس جميعاً ، المؤمن والكافر ، العابد والعاث ، العالم والغافل .. جعلها طائفة منقادة لمن أراد أن ينتفع بها - وبما فيها وما عليها - إن شاء أن يزرع بها حدائق وحقولاً تزهو وتثمر ، استجابات ، إن أحسن التدبير والتعمير ، وإن شاء أن يفسدها ويخربها ويزرع حقول ألغام لم تقاوم ولن تدفع الإتلاف والتدمير .. فإذا ما أصلح في الأرض - بكل مكوناتها ومخلوقاتها - ومشى في مسار عمله وإصلاحه واجتهاده ، عاد عليه ذلك بالنتع والكسب ، فأكل - أي نعم وأفاد واستفاد من رزق الله الناتج ، وإن هو أفسد في الأرض ولوَّث ، ناله نصيب مما جنت يده .. لأنه هكذا « جعلت الأرض ذلولاً » . واختيار كلمة « الرزق » في سياق الآية « وكلوا من رزقه » يلفت النظر إلى أن نتائج الأعمال الظنية في هذه الحياة الدنيا مرهونة بإرادة الخالق عز وجل ، لأن « الرزق » غير « الكسب » .. فالرزق هو ما يأتيك من غير توقع ، أو من غير ما تؤكده معلوماتك ، وخبرتك ، وحساباتك ، وتقديراتك .. فهنا جانب متروك للظن والاحتمال والنجاح أو الفشل . أما « الكسب » ، فهو مقابل عمل معلوم مقطوع به لا ظن فيه ولا ترجيح . إن صائد الأسماك من البحر يعمل ويجتهد ويشقى ، ولا يستطيع أن يقول : إننى سوف « أكسب » كذا من رحلة الصيد هذه ، لكنه حتماً يقول : أرجو أن يكون « رزقى » منها طيباً واسعاً . أما عامل المصنع ، أو المتجر ، أو المكتب ، فهو مطمئن إلى أن « كسبه » في آخر اليوم ، أو الأسبوع ، أو الشهر مقداره كذا، مقابل عمله ، إذا سارت الأمور على طبيعتها على النحو المقدر .



كرتنا الأرضية كما تبدو من الفضاء الخارجى .

لكن الآية الكريمة تشير بوضوح إلى أن « المشى » في مناكب الأرض ، أى السعى بالعمل والاجتهاد في أبسط المواقع والأمور وفي أصعبها ، ضرورة لا غنى عنها لنوال الرزق . ثم بعد ذلك : إلى الله تعالى المصائر والمنتهى ، كما كانت منه البشائر والمبتدا : « وكلُّ أتوهُ داخرين » - النمل ٨٧ .

ما معنى هذا كله في مجال الحديث عن الاستنساخ ؟ . معناه في منظور الإسلام : أن الله تعالى خلق الإنسان ، وأسكنه الأرض ، وجعلها ذلولاً له .. فكلما مشى فيها هذا الإنسان طريقاً يُفضى إلى علم ، أو كشف ، أو معرفة سرٍّ من أسرار مكوناتها (على سطحها ، أو في محيطها الحيوى ، أو في جوفها ، أو في واحد من مخلوقات الله عليها ..) ، وأراد الله له التيسير ، أفلح وتمكَّن ، ونال من رزق المنعم ، فاستفاد وأفاد ، يستوى في ذلك معرفة خلط الماء بالسكر بالبن لعمل قرح من القهوة ، أو تمهيد مساحة من الأرض ، وإلقاء بذور القطن فيها ، ثم ريّها ورعايتها حتى تثمر محصولاً تصنع منه ملابس



انفجار ذرى

وأغطية وسُتْر ، وسواء أفلح في إعداد وجبة من « الكُشْرِى » (زراعة ، وصناعة، وتجارة ، وتسويقاً ، وطهيّاً) ، أو فتت ذرة صنع منها نظائر مشعة نافعة ، أو استولد طاقة محرّكة ، أو اخترع قنبلة رهيبة مدمرة ، وسواء نجح في زرع أعضاء بشرية سليمة في جسم بعض أجزائه تالفة مريضة ، أم استخدم ما مُنح من عقل وخيال وذكاء وقُطنة في استنساخ « دوللى - Dolly » النعجة التاريخية الشهيرة من خلية انتزعها من ضرع أمها ، ثم أسكنها موضع نواة بويضة ، على نحو ما أوضحته التجربة ..

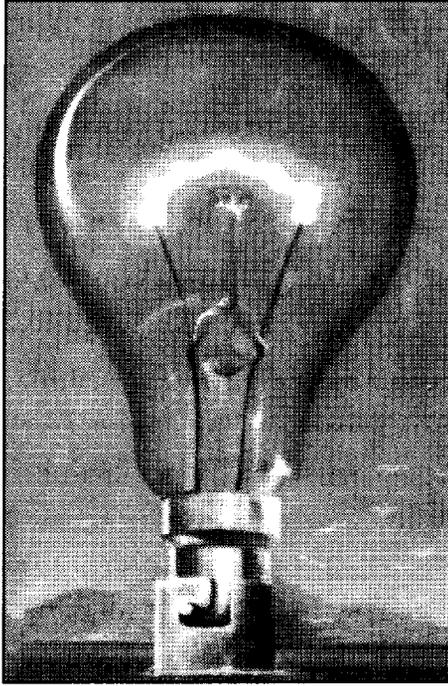
هذه جميعاً - وغيرها ، وما سوف يأتى - من مكونات الأرض ، ومن مخلوقات الأرض المدللة للإنسان . وقد أمر أن ينظر ويتأمل ، ويفكر ويبحث ، ويكتشف ويعمر ، وأن يصنع من خَلْق الله ما ينفع مخلوقات الله ، بشرط واحد: ألا يفعل ما يفسد ويضر ، وألا يستخدم النعمة في الإيذاء بشرّاً، ألا يطغى « بالرزق »؛ فيتكبر ويتجبر ؛ فتكون عاقبته وخيمة.. فقانون الخالق - سبحانه وتعالى - لا يُحابى ، ولا يدارى ، ولا يحيد .. ففى سورة إبراهيم : «لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد . . والكفر هنا ليس الكفر بالله وحسب ، وإنما التكر للنعمة وللعطاء الممنوح والرزق ، نتيجة لإفساده ، أو إنكاره ، والعبث أو الإضرار به ، لأن الشكر إعلان وإقرار ، يقابله الإخفاء والإنكار ، وهذا ما يوافق سياق الآية .. ولأن الزارع يسمّى في اللغة كافراً، إذ هو يُخفى الحَب في الأرض يزرعه ، والليل أيضاً كافراً، لأنه يحجب ضوء النهار .. فيكون منطقياً وقوع العذاب الشديد في الدنيا قبل الآخرة . ويعزز ذلك قوله تعالى فى سورة طه : « فمن أتبع هُداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أَعرض عن ذِكْرِى فإن له معيشةً ضُنْكاً » - ١٢٣ - ١٢٤ .



نجح الإنسان في الوصول إلى القمر وفشل في الوصول إلى قلوب جيرانه في الإنسانية على الأرض !

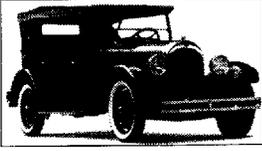
أما عن الاستنساخ في النبات والحيوان ، وما انتهى إليه القرن العشرون في هذا الشأن - وما زال يبحث ويجرب - فلسوف نتناوله بالتفصيل في الجزء الخاص عن مسيرة العلم والتكنولوجيا في هذا القرن .

كان - بحق - قرناً ثرياً بالاكتشافات والإنجازات العلمية وتطبيقاتها ، وبالمستحدثات التكنولوجية ، يفوق بكثير ما سبقه من كشف وإنجاز في قرون مضت.. لكنه لم يبدأ من فراغ ، ولم تظهر إبداعاته فجأة .. فهو امتداد زمن متواصل ، وسبقته أعمال وابتكارات، ومهدت له نظريات واختبارات .. فأكمل هو وأضاف ، وتزوّد وزاد . وتلك سُنّة الحياة ، وطبيعة التطور .. إذ كان مستحيلاً - ولا يطرأ على الخيال أو الفكر - أن يركب إخناتون دراجة بخارية (موتوسيكل) ، أو يحلّق نابوليون في مركبة فضائية من طراز أبوللو

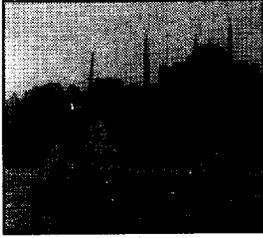


سبقت القرن العشرين أعوام مثيرة في الكشف ، والاختراع ، والتصنيع ،
والتجديد، والتطوير ، سريعة الإيقاع ، شديدة في المنافسة.. فلما دخلت
عناصرها تحت مظلة القرن العشرين ، أخذت تهدأ رويداً رويداً، وتنمو
وتتكاثر على مهل .

شهدت تلك السنوات الأولى من القرن العشرين إنجازات عملية
وتكنولوجية كثيرة ومبهرة ، لم يستطع العقل الجمعي وقتها أن يدرك
أبعادها ، ولا مدى تأثيراتها ونتائجها .. لكنها - يقيناً - غيرت من شكل
وشمائل وإيقاعات الحياة في هذا القرن ، وما سوف يليه ، في مجالات شتى .
ويكفينا الآن أن نشير إلى مثال واحد ، إلى أن نتناول الموضوع - فيما بعد -
بالقدر المناسب من التوسع والتفصيل : مجال النقل والمواصلات ..

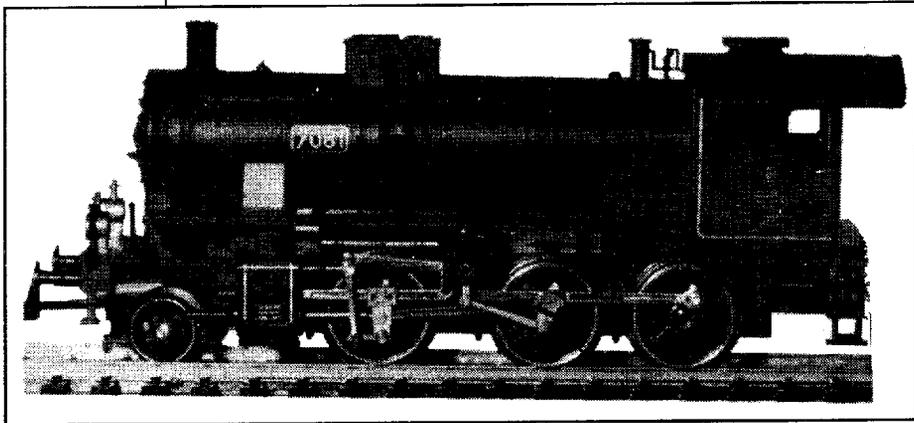


على الأرض ، بدأت عربات الجر - التي تجرها الخيول والدواب منذ أيام
الفراعنة المصريين ، وبلاد ما بين النهرين - بدأت في التراجع ومواجهة
التحدى الغلاب لآلات البخار ، وطاقة الكهرباء وما تسيران من عربات
ومركبات . ثم قدّمت ألمانيا محركات الاحتراق الداخلى ، التي كانت في البداية
تعمل بغاز الفحم ، ثم تلتها تلك التي تعمل باحتراق البترول ؛ فكان ذلك إيذاناً
بانطلاقة « ثورة » كبرى في تاريخ النقل . إنه - بحق - قرن السيارة ، بعد
قرن السكك الحديدية (التاسع عشر) التي انتشرت في بلاد العالم بسرعة
مدهشة ، منذ أن وضع روبرت ستيفنسن موضع التنفيذ والاستخدام
العملي، الابتكار الذى صنعه المهندس « كورنيش » ، وهو أول قاطرة بخارية .
وقرب نهاية القرن ١٩ ، كان الناس قد تعودوا على خطوط السكك الحديدية
فوق الأرض ، وتحت الأرض وفي الأنفاق .



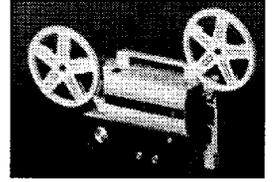
وفي الوقت نفسه ، ومع انتشار شبكات الطرق والسكك الحديدية ، أقيمت
شبكات النقل عبر القنوات المائية . وبفضل التطور في العلوم الهندسية
والمائية ، شُقَّت القنوات العالمية الضخمة التي ربطت قارات العالم بحرياً ،
مثل قناة السويس ، وقناة كورينث، وقناة كييل . وبدأ العمل في قناة باناما ،
لكنها لم تكتمل في القرن ١٩ .

وامتد التطور بالضرورة إلى صناعة السفن ؛ فتطورت ، ونجح بناء
السفن الحديدية الكبيرة . كما تطورت المحركات والآلات ، بعد ابتكار سير
«شارل بارصونز» المحرك التوربيني البخارى البحرى ؛ فأصبح في مقدور
السفن - ذات المحركات قوة ٣٠ ألف حصان - أن تنقل الركاب والبضائع

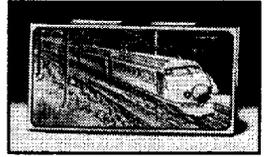


بحمولة ١٣ ألف طن ، وبسرعة ٢٠ عقدة (٣٧ كم) فى الساعة ، مما غير تماماً مستويات السفر والنقل عبر القارات . ثم كان ميلاد السفن الضخمة والعملاقة التى تعبّر المحيطات فى سرعة وأمان ، وتتجاوز ٢٢ عقدة (٤١,٤ كم) فى الساعة .

ثم اكتشف الإنسان أن سطح البحر لا يكفى . لماذا لا يغوص وينتقل فى «مركبات» تجتاز الأعماق؟؛ فصنع الغواصات بفضل تقدم العلوم البحرية والهندسية ، التى واكبت اختراع الفونوغراف (الجراموفون) الذى يسجل الأصوات والموسيقى ، وابتكار آلة التصوير (الكاميرا) التى تسجل أشكال الوجوه ، ومشاهد الأحداث ، وبعد أن أضاءت الكهرباء الشوارع والمصانع والبيوت ، وتمكن الناس من التخاطب من مسافات بعيدة ، من خلال الهاتف (التليفون) ، ويسّرت الآلة الكاتبة العمل والأداء داخل المكاتب ، وأراح الترام الكهربائى الناس من عناء الانتقال والتزاحم فى طرقات المدينة ، وبعد أن أمتعت السينما جماهير المشاهدين فى دور العرض ، وانتقلت الرسائل «بسرعة البرق» بين المدن والقارات بفضل التلغراف الكهربائى . وأخيراً ، فى نهاية القرن (١٩) يقدم (ماركونى) للعالم نظام التلغراف اللاسلكى ، مع بداية ظهور السيارات (١).

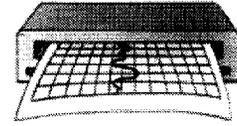
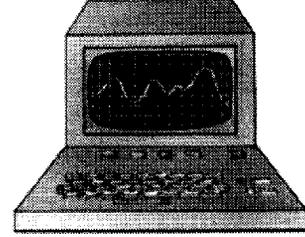
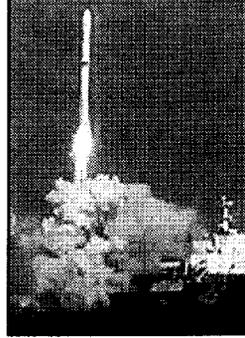
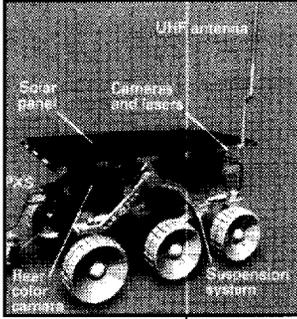
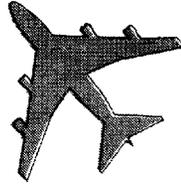


وبالرغم من هذه الإنجازات والتطورات العلمية والتكنولوجية المبهرة ، عظيمة النفع ، بقى مجال فسيح رحيب ، باءت كل محاولات اقتحامه المتكررة بالإحباط والفشل : أن يطير الإنسان ويحلّق فى الفضاء الجوى ، كما تفعل النسور والطيور .



لقد حاول بالفعل ، ونجح فى الصعود إلى طبقات من الهواء غير بعيدة عن الأرض ، ولكن فى غير مركبات ، وإنما فى بالونات ترتفع بالغاز الساخن (كانت أول محاولة ناجحة للأخوين جاك وجوزيف مونجولفييه الفرنسيين ، فى ٢١ نوفمبر ١٨٧٣) ، لكنها لم تكن آمنة ، ولمسافات محدودة ، وتبعاً لتحسن الأحوال الجوية .

(١) القطار ، والسيارة ، والطائرة (مع التليفون والتلغراف والإنذاعة اللاسلكية) هى التى أكسبت القرن العشرين طابع الدقة فى حساب الوقت والوصف « بعصر السرعة » . وبينما كانت السيارات فى أوائل القرن تجرى بسرعة ١٠ و ٢٠ كم / ساعة (والناس معجبون بها) ، إذا بها فى أواخر نفس القرن تتجاوز سرعة الصوت : ففى أكتوبر ١٩٩٧ نجح « أندى جرين » فى قيادة سيارة صاروخية على أرض صحراء نيفادا الأمريكية (طول السيارة ١٦,٥م) بسرعة ١٢٢٨ كم / ساعة أى أسرع من الصوت (سرعته عند سطح البحر ١٢٠٤ كم / ساعة) . والمشكلة هى : أين تستخدم تلك السيارة؟



مركبة المريخ تمشي على سطحه

ولم ييأس الرواد المبتكرون . واستفادوا من شكل البالونات الهوائية الأسطوانى، وفكروا فى اختراع « مركبة » هوائية تعمل بخزانات تُمَلأ بالغاز، وبنظام يتحكم فى القيادة والتوجيه .. فكانت أول محاولة ناجحة فى فرنسا بمركبة صنعها « شارل رنار ، وأ. س . كريس » أطلقا عليها اسم « فرنسا » ، ذات مروحة واحدة كبيرة ، بمحرك قوته تسعة أحصنة (كهربائى) ، واستطاعا التحليق فى الجو يوم التاسع من أغسطس ١٨٨٤ لأول مرة ، فى جولة دائرية لمسافة ثمانية كيلو مترات ، وبسرعة أقصاها ٢٣,٣ كم / ساعة . ثم تتابعت المحاولات .. ونجح فى فرنسا « ألبرتو سانتوس ريمو » البرازيلى الشاب، فى محاولته السادسة ، وحلّق بمركبته الهوائية (وكانوا يسمونها فى المحاولات الأولى : سفينة الهواء) ، بمحرك قوته عشرون حصاناً، يعمل بالبتروى ، وبتبريد مائى، وأمضى فى الجو ثلاثين دقيقة ، محلّقاً حول برج إيفل، وذلك فى عام ١٨٩٨ .

فى بريطانيا ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية ، وفى ألمانيا ، كانت محاولات أخرى كُلت بالنجاح فى أوائل القرن العشرين . واستطاع الأخوان الأمريكان «أورفيل - وويلبورت رايت » الاستفادة من اختراع « ديملر » الألمانى للمحرك البتروى ، فنجحا عام ١٩٠٣ فى الطيران جوّاً . وهما أول من أطلق على المركبة أو « السفينة الهوائية » اسم « طيارة » أو طائرة ، التى انتهت فى أواخر القرن إلى تجاوز سرعة الصوت ، وإلى سفن الفضاء ، ورحلات أبوللو بالإنسان إلى القمر، ثم إلى مركبة متحركة على سطح المريخ! .